محمد بن العربي الجلاصي

سياسة المعنى

الكتاب الخامس

النّظريّة الشّعريّة



محمد بن العربي الجلاصي

النّظريّة الشّعريّة

مرايا الحداثة

الكتاب : سياسة المعنى : الجزء الخامس : النظرية الشعرية

المؤلّف : محمد بن العربي الجلاصي

النّوع : نقد

الإيداع القانوني : الثلاثيّة الثّانية 2006

الطّبعة : الأولى

النّاشر :مؤسّسة مرايا الحداثة للإنتاج الفكري

السّحب : 1000 نسخة

الرّقم الدّولي الموحّد للكتاب : -4-9370-9973-978

مرايا : 930 613 98

ثمن النّسخة: 7,200 د. ت

Le sens, en tant que forme du sens, peut se définir alors comme la possibilité de transformation du sens.

Greimas
Du Sens

تقديم :

إنّ ما يحملنا على درس علاقة نظريّة البلاغة بالمقاربات الحديثة هو كون البلاغة ظلّت مسألة تُحصّل تقنيّاتها وقواعدها وتُستقرأ أشكالها ووجوهها. وهذا الضّرب من الاهتمام منع من تدبّر التّحوّلات الرّمزيّة الكبرى في الشّعريّة العربيّة. فالنّصّ الشّعريّ ليس جمّاع أشكال وعلامات. **لقد تغيّر أفق النّظر في النّصّ الشّعريّ والنّصّ الأدبيّ والفنّيّ بوجه عامّ من الأشكال، بمعنى لسانيات النّصّ وانسجام الخطاب وعلاقة العلامات بالعلامات إلى السّياق والمقام وأفعال الكلام ونشوء فضاء تخاطبيّ.**

وإنّ السّياق الإشكاليّ الّذي أقترح دراسته هو التّفكير في علاقة البلاغة بالأنظمة الرّمزيّة الحديثة. فكيف انتقلنا من :

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ... يَلُحْنَ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ[1]

إلى :

سماءٌ مُرّةٌ جَلَسَتْ على حجرٍ تفكّرُ[2]

لقد تغيّر معنى الجميل في الشّعريّة الحديثة وتغيّر منطق النّصّ وتأويله. فالحداثة ترسم خطاطة جديدة لانبناء المعنى في القائل. وإنّ السّؤال الجوهريّ الّذي ألقاه التّداوليّون عمّن يتكلّم حينما نتكلّم وكيف يقول المتكلّم شيئا وتقول اللّغة شيئا آخر غيّر الاشتغال على النّصّ من المناويل والقواعد إلى آثار الخطاب في متلقّيه.

إنّ الإجابة الشّكلانيّة عمّن يتكلّم هو أنّ اللّغة تتكلّم، لذلك قال بارت بموت المتكلّم وأخرج المتكلّم من الكلام في حين أخرج التّداوليّون اللّغة من الكلام واعتدّوا بالسّياق لشرح أمر الحسن والجمال.

فهل النّظام الرّمزيّ من عطاء الأنساق والأبنية أم من شأن المقامات التّواصليّة وأفعال الكلام ؟ إنّنا نواجه إشكالا نظريّا خطيرا هو لاكفاية نحو النّص ومتواليات انسجام الخطاب للوقوع على خصائص الكلام.

---

(1) لبيد، د 88 : 1 والمعلّقات 169 : 1.

(2) محمود درويش، ديوان : حصار لمدائح البحر، قصيدة بيروت، ص 223.

وفي هذه المباحث حول نظريّة المعنى ونظريّة البلاغة ونظريّة الشّعر نريد وصف الخطاب من جهات متعدّدة من حيث هو اختلاج في دواخل الكائن ومن جهة كونه سمات وعلامات وأشكالاوباعتباره معطى تداوليّا لأنّ وصف الخطاب باعتباره متوالية جمل يقتضي إلماما بظروف نشأة الخطاب وأشكال تداوله وتلقّيه.

وليس مقصدنا الوقوف على النّظريّة الشّكلانيّة أو النّظريّة التّداوليّة للخطاب. وإنّما قراءة بنية التّلفظ وظروف التّلفّظ داخل نسيج مفهوميّ متكامل. **فنحن نشتغل داخل استراتيجيا تخاطبيّة بأشكالها وأبنيتها وأنساقها وأفعالها الإنجازيّة ومقاماتها التّواصليّة.**

إنّ الشّعر أكبر من كفاءة اللّسانيّ ومن علم الدّلائل والنّسق اللّغويّ. ففيه وجه إنجازيّ يخرج مبحث اللّغويّات من الكلام ويلقي به على المتكلّم والمخاطب ويخرجه من الدّال والمدلول إلى الأمارة والأيقونة والرّمز. فالعلاقة لم تعد بين الدّلائل والأشياء. وإنّما في اختبار نسق الدّلائل في الأفعال التّواصليّة. فالأنساق تمظهرات وتشكّلات يحدثها الفضاء التّواصليّ. والشّكل لم يعد من شأن اللّغة. وإنّما يتكوّن داخل الفضاء التّخاطبيّ. فللكلام مجال تداول هو الّذي ينجز الدّلالة الشّكليّة التّركيبيّة. وإنّ القواعد الدّلاليّة لا معنى لها إلاّ إذا كانت تجربة كيان. ولا يمكن حدّ المعنى خارج مقامات إنتاجه وتلقّيه. **فالوظيفة التّعبيريّة للّغة وجه من الوظيفة التّواصليّة للمتكلّم.**

وبما أنّ الشّاعر متكلّم من نوع مخصوص فإنّ نتائج هامّة ستترتّب عن علاقة الشّاعر بإنتاج الرّمز في فضاء تخاطبيّ معيّن إذ أنّ علاقة الشّاعر باللّغة علاقة خلاّقة. **فهي تشتغل على إنتاج الدّلائل والرّموز وتخييل الأشياء بإحداث فضاءات تواصليّة وبالتّصرّف في تركيبات الدّلائل والتّقاذف بها إلى جهات عديدة من المقامات التّواصليّة. فما هي المسافة الّتي قطعها النّصّ الشّعريّ من تمثيل الأشياء إلى صناعة الرّمز ؟**

ذاك بعض ما نريد من درس :

- نظريّة النّصّ
- نظريّة المعنى
- نظريّة البلاغة
- نظريّة الشّعر.

درس في متواليات انسجام الخطاب ولسانيّات النّصّ ونحوه وأثر نظريّة أفعال الكلام في إنشاء النّصّ وتكوينه.

يثير النّصّ أسئلة في علم الدّلالة وفي السّيميائيّات والتّداوليّة. لكنّ النّصّ ليس موسوعة بنيات سيميائيّة. فعلم النّصّ عندنا لم يجد له محلاّ في إحصاء العلوم. وإنّ النّصّ يقدّم خطاطة جديدة لبناء المعنى. وقد فتحت الشّكلانيّة الرّوسيّة السّبيل أمام سيميائيّات نصوص الأدب. ونجد محاولة مدرسة براغ الّتي أثارت مشكل سيميائيّات النّصء ولو أنّها لم تذهب بعيدا في الأسس والأصول. وهذا العمل سيكون محاولة لبلورة نظريّة النّصّ.[1]

وقد سعى هلمسلاف Hjelmslev إلى بناء الأنساق الدّالّة. وتوصّل عبر جملة من التّفكيكات إلى سيميولوجيّة واصفة. فهل يمكن أن نبحث في علم للنصّ أو ما تسمّيه كرستيفا سيميائيّات نصّيّة ؟ لقد سعت إلى صياغة رؤية للنّصّ جعلته بنيويّا ووظيفيّا، ونظريّا وإجرائيّا في آن معا. وبنت تصوّرا جديدا للممارسة النّصيّة. وقد كان بحثها يطلب الحدود المنهجيّة والنّظريّة والشّكليّة للنّصّ. فالنّص عندها طبقات وعلاقات وشبكات وسياقات سيميولوجيّة ورمزيّة.

وإنّ قيام النّزعة التّجريبيّة مع لاكوف J. LAKOFF وجونسون M. JOHNSON هي انتهاء الأمر إلى إقحام المتكلّم في بناء الرّموز اللّغويّة باعتباره كائنا مدركا مجرّبا متخيّلا قادرا على بناء التصوّرات. والمقصود بالبعد التّجريبيّ كلّ العناصر الحسّيّة والعاطفيّة والاجتماعيّة وغيرها ممّا يجعل إنشاء معنى ضربا من التّجريب.

---

(1) عن حياة الدّلائل في النّصّ، انظر :

- **BENVENISTE**, Emile, *in Problèmes de linguistique générale*, Gallimard, 1966. Chap3, Nature du signe linguistique et Roland BARTHES, *Eléments de sémiologie*, in Communication, n°4, pp 61-92.

وتثير دراسة نظريّة النّصّ جملة من الإشكاليّات المنهجيّة المتعلّقة بحدود النّصّ ونشأته وتأويله. فالنّص ليس شيئا مستقرّا يمكن وصفه وشرحه وبيانه والإتيان على مبانيه ومعانيه. وإنّما هو متعدّد الأبعاد والوجوه والرّموز. ولذلك، **فإنّ القراءة تشكّل فضاء للاختلاف وتتيح إنتاج قدر كبير من التّأويلات تتحدّى حصر الأفكار في أزمنة وثقافات وتحدث فضاء خلاّقا للفهم والتّأويل. فالنّصوص وقائع خطابيّة، علينا اكتشاف آليّات إنتاجها للمعنى.**

وإنّ النّص هو هاجسي، أو بالأحرى صار هاجسي منذ تصوّرت أنّ النّصّ لا يساوي الكيان وأنّ نظريّة النّصّ ليست النّصّ. **فكلّما مررنا من طقس إلى طقس : من طقس الكيان إلى طقس اللّغة فإلى طقس التّأويل كان هذا المرور محمّلا بأشكال وأنساق وهواجس واستراتيجيّات.**

وإنّ قِدَمَ النّصّ أو قدم التّأويلات كلام لا يُأخذ بعين الاعتبار. إنّنا نفكّر في مجال إشكاليّ بناه الجاحظ ورتّب بارت قضاياه وتأوّله ميشونيك. وإنّ التّجارب الحادثة الآن في مجال علم اللّغة والشّعر لا تحجب عنّا أفكار أرسطو والجرجاني كما يوضع أفلاطون وابن خلدون وماكيافلّي وفوكو في مجال إشكاليّ واحد لدرس إشكاليّة السّلطة.

وفي النّظريّة وعلاقتها بالنّصّ كثير من الحَجْب والسّكوت والاستبعاد والتّناسي. فالنّظريّة ليست استخراجا لشيء من مخبئه. والتّأويل يُدخل النّصّ في ما أسمّيه : الغنى التّداوليّ ؛ بمعنى وفرة السّياقات الّتي يُقرأ فيها النّصّ. فلا يمكن، بسبب عادات درج عليها النّظر في منهجه ومصطلحه وآليّاته أن نغيّر الأدوات المفهوميّة.

وإنّ الكلام يخاتل ويلعب من وراء المنظّر ويمكر به. **فالتّأويل لا يجهل أنّ النّصّ الشّعريّ لا ينصّ تماما.**[2]

وإنّ تجلّيات الكيان عبر أنساق اللّغة وأنظمتها وأعاريبها وكون الكيان لا يقول اللّغة وإنّما يصغي إليها وكون النّظام العلاميّ ليس مجموعة دوالّ، وإنّما الطّريقة الّتي بها ترتسم صورة للكائن تعبّر وتخفي في آن، كلّ ذلك يجد له مكان ولادة في نصوص دولوز ونيتشه وفوكو ولاكان ودريدا من متفلسفة هذا الزّمان الّذين تهتزّ لخطاطاتهم التّصوّريّة الجديدة كلّ عادات الفكر بأنظمته وخططه. فدولوز يرى أنّ طريق الكيان إلى العبارة هو «الإصغاء إلى همس الأشياء»[3] ويعتبر دريدا أنّ المتكلّم لا «يستعمل اللّغة إلاّ بترك النّسق يتحكّم فيه بطريقة ما»[4] ويقول فوكو إنّ الإنسان «حين يبلغ ذروة كلّ كلام ممكن لا يصل إلى صميم ذاته».[5] فالكلام ينشأ في «منطقة لا شكل لها، بكماء، فارغة من الدّلالة حيث يتسنّى للّغة أن تتحرّر.»[6]

هذه التّصوّرات الجديدة مختلفة عمّا رسّخه الفكر اللّغوي حيث شاعت رؤى تعتبر اللّغة تمثّل الأشياء. **ونحن، ههنا، نريد إلقاء سؤال علاقة «الكلمات والأشياء» في الثّقافة العربيّة** واختبار تشكّلات الكيان باللّغة وبالبلاغة في الشّعر باعتبار الشّعر أخطر حدث رمزيّ ينجزه الكيان لا من حيث هو تشابيه واستعارات وكنايات.

---

(2) Voir SCHMIDT, Siegfried, J, **Text theories,** Munich : Fink (UTB) wunderlich, Dieter. pp. 5-8 et HAY, Luis, **le texte n'existe pas,** in Revue poétique, n 62, Avril, 1985, pp. 147-158.

ويُعتبر العمل الّذي أنجزه محمّد الشّاوش ذا جدوى كبيرة في عرض النّظريّات اللّغويّة ومقام الجملة والنّصّ والخطاب في أجهزة اللّغة النّظريّة. وهو عمل يضع إشكاليّة النّصّ وضعا يرى أنّ النّصّ مادّته اللّغة. وإنّ حصر النّظر في النّصّ لغةً جعل الباحث يقف عند حدود عرض النّظريّات ومناقشتها. ورغم النّتائج المبتكرة الّتي انتهى إليها والّتي من شأنها أن تقلب التّصوّرات الّتي استقرّت في الدّرس اللّغويّ، فإنّه ناقشها داخل أجهزتها النّظريّة، وليس مبتغانا أن نذهب في هذه الجهة من الدّرس، وإنّما أن نحاول – ما استطعنا – بناء تأويلات تفكيكيّة وأركيولوجيّة لنظريّة النّصّ. وذلك بمناظرة هذه النّظريّة وتوجيه أسئلة إليها من خارجها.

(3) **المعرفة والسّلطة : مدخل لقراءة فوكو**، ترجمة سالم يفوت، بيروت والدّار البيضاء : المركز الثّقافيّ العربيّ، 1987، ص133.

(4) ibid, p. 311.

(5) **De la grammatologie**, pp. 226-227.

(6) **Les mots et les choses**, p. 310.

وقد استأنسنا بالتّرجمة العربيّة، الكلمات والأشياء، نشر مركز الإنماء القومي، 1993.

وإنّ الكيان لم يبن تاريخيّته الخاصّة إلاّ في اللّغة وباللّغة، لكنّ الكيان لا يبلغ ما هو ماثل فيه باللّغة. فالكيان يواجه أوّل محنة وأشقّها عليه : إنّها محنة العبارة. وإنّ الكيان يكتشف ذاته في قول الأشياء فيه صورا ورموزا، غير أنّ زمن الأشياء قديم والكيان ماثل الآن وهنا. فالكيان لا يبلغ تحديد الأشياء فيه والظّفر ببداياتها. وإذا أراد أن يرى ما فيه اصطدم بوسيط مراوغ يدسّ فيه أشياء ويخفي ويتخفّى ويمحو ويمّحي : إنّه اللّغة. **لكنّ الكيان يتمرّس بالكلام وأعاريبه وأساليبه ليصنع صورة ولحظة تاريخيّة له.** واللّغة مفتتنة بذاتها كما يقول موريس بلانشو.[7] M. Blanchot فالكيان لا يمسك بما هو بدائيّ فيه إلاّ باستعادة ما وقع قبله. فكيف تنفصل عبارة الكيان عن نفسه عمّا حصل من قبل ؟ كيف له أن ينشئ كلاما منفلتا من أيّة ذاكرة ؟

إنّ الشّعر هو تفتّح الكيان على أشياء كأنّما يراها للمرّة الأولى. فالبلاغة تبتكر الكيان وتخترعه وتفتحه على نفسه. إنّ البلاغة موضع يتكشّف فيه الكيان ويتعرّى. لكن علينا ألاّ نتصوّر الكيان ممتلئا مسبقا. وإنّما حصيلة تجاريبه هي الّتي تملؤه. وهو دائم الهجرة والتّرحال وليس ساكنا. وعلينا أن نتمثّله في تعدّده واختلافه. فالبلاغة هي جسد آخر للكيان. واللّغة لا تعيش خارج الكيان، إنّها مزروعة في تربته، بما هي ضجّة في ممكناته ومحتملاته. **فاللّغة ليست جماع طرائق إفصاح وكشف، رغم أنّ اللّغة تريد زرع إبدالاتها في عمق الكيان وتندسّ فيه وتمارس سطوتها عليه.**

وهل يقبض الكيان على لغة لا تخاتل ولا تزيغ ؟ إنّ الكيان تتحدّد له صورة لغويّة. ولأنّه يلاقيها مرّات عديدة فإنّه يطاوعها حينا وتطاوعه. فميلاد الكيان علينا أن ندفع له ثمنا هو موت اللّغة. إنّ اللّغة تجبر الكيان على أن يصرّف احتمالاته على مقتضى أنساقها وتريد له أن يعيش بها وفي رعايتها. والكيان آهل بالطّاقات والرّغائب. فكيف نكشف صورة الكيان العربيّ في علاقته بالبلاغة ؟

---

(7) **La part du feu**, Gallimard, 1972, p. 186.

إنّ الكيان العربيّ كيان أقام طقسين في علاقته باللّغة :

- طقس العبارة : وهو طقس يرى اللّغة مشحونة بالعبارة ودورها أن تُنطق الكيان.

- طقس الفتنة : إنّ الكيان ينتشي بالعبارة ويؤلّفها على نحو قائم على علاقة خَلاَبَةٍ مع اللّغة.

إنّ اللّغة هي بوّابة الكيان. والفتنة هي بوّابة اللّغة. والمعنى ناتج علاقات بين الكلمات. والعلاقات لامتناهية. لذلك فالمعنى لامتناه. والكيان يريد إحداث العبارة في مجال «ما كلّت الألسن عن وصفه ونعته» كما يقول الخليل بن أحمد.(8)

لقد اخترنا علاقة اللّغة بالكيان مدخلا إلى تدبّر ثلاث مناطق نظريّة هي :

- في نظريّة المعنى
- في نظريّة البلاغة
- في نظريّة الشّعر.

(8) انظر حازم القرطاجنّي، المنهاج، 143-144.

في نظريـة المعنى

من تعيين الأشياء و تمثيلها إلى بناء الأنظمة الرّمزيّة حولها والتّفكير في إنتاج المعنى و الأصول المتحكمّة في انبنائه.

كيف تأتي المعاني ؟ لا يمكن حدوثها خارج النّسق الاستبداليّ والنّسق التّركيبيّ. أين كانت قبل مجيئها ؟ إنّ ياكبسون يبيّن أنّ الاستبدال والتّرابط هما محورا اللّغة. وانبنى علم الدّلالة البنيويّ على أساس تجانس جميع وحدات اللّغة باعتبارها دوالاّ وعلامات. فالنّحو يهمّه صياغة الأقوال وتأليفاتها. وعلم الدّلالة يُعنى بقابليّة الدّوالّ للتّفسير. واهتمّت التّداوليّة بوصف العلاقة بين العلامات ومستخدميها. ثمّ صارت تُعنى بتحليل العلاقة بين النّص ومستخدمه. فقد كانت التّداوليّة إحدى الفروع المكوّنة للسّيميولوجيا. وهي العلامات والرّموز ودلالاتها وعمليّات توصيلها. وإنّ مجال اهتمام التّداوليّة هو القسم الأخير. وهي تبحث في الشّروط الّتي تجعل الأقوال تواصليّة. وتبحث في قواعد الانسجام بين القول والمقام، أي علاقة النّصّ بسياقه، أو ما كان يطلق عليه «المقام» و«مقتضى الحال». فالتّداوليّة تُعنى بظروف التّلفظ دون بنية التّلفّظ.

وينبغي درس النّصّ ابتداء من أبحاث الشّكلانيّين الرّوس وأعمال ياكبسون وبارت السّيميائيّة ونظريّة غريماس في علم الدّلالة، ممّا عمّق تصوّر أنّ النّصّ يُدرس في بنيته وخصائصه التّكوينيّة. وإنّ كلّ وصف لبنية النّصّ هو إمكانيّة قراءة. فقد بدأ النّاس يقرؤون النّصّ على أنّه نظام ويعرفون أنّ المدلولات ليست مرمّزة مسبّقا ويدركون أنّ القراءة «مغامرة تأويليّة» كما يقول إيكو ECO [1] وأنّ المؤلّف «فرضيّة تأويليّة»[2] و«استراتيجيّة تلفظيّة وخطابيّة».[3] وأنّ النّصّ يحوي فرضيّة اشتغاله. ونريد تبيّن مواضع ثلاثة من إشكاليّة المعنى هي :

- المعنى أمام الصّمت.
- المعنى أمام اللّغة.
- المعنى أمام السّياق.

---

(1) القارئ في الحكاية : التّعاضد التّأويليّ في النّصوص الحكائيّة، ترجمة أنطوان أبو زيد، الدّار البيضاء : المركز الثّقافيّ العربيّ ط 1 / 1996، ص 63.

(2) م ن 77.

المعنى أمام الصّمت :

يهدف هذا الدّرس إلى بناء تصوّر نظريّ حول نشأة اللّغة الشّعريّة وصورها ومجازاتها،إذ يسبق الكلامَ عالمٌ موحشٌ مجهول لا تعتسفه الحدوس ولا تذهب إليه البرهانات ؛ هو عالم لا يُخبر من استخبر ولا ينطق لمن استنطق؛ عالم لا تذهب فيه إلاّ مخفورا بالشّكّ والرّيبة ، غير معصوم من الحيرة والشّبهة. لا إسم يخبر عن مسمّى. ولا سمات راتبة على معان . ولا اختصاص ولا تواطؤ ولا دوالّ. فمنذ قصص الخلق الأولى ، في ذلك الزّمن السّحيق الموحش ، كان العالم صامتا بلا أسماء . ثمّ ذهبت الحياة. وأتت العلامات. وانتظمت حياة الأشياء في علاميّة الأسماء.

وإنّنا نجعل من التّفكير في الصّمت مدخلا إلى تحديد قواعد الكتابة الشّعريّة. ويترتّب عن البحث في الصّمت جهاز إشكاليّ وحقول مفاهيميّة مغايرة لدرس الكلام. فهل يمكننا دراسة الكلام دون دراسة الصّمت ؟

إنّنا نبحث عن إمكانات تفكير في هذا السّياق الصّعب. ونحن نحصر هذا السّياق في ميدان محدّد هو الكلام الشّعريّ. ففي نكتة دقيقة من تفكير الجاحظ يرى أنّ الخشية من سقطات الصّمت أشدّ من الخشية من سقطات الكلام. لو كان الصّمت هو السّكوت لما خُشيَ منه. فالسّكوت هو امتناع الحاجة إلى العبارة وامتناع العبارة. والصّمت هو جيشان الحاجة وامتناع العبارة. وحينما يستكمل الصّمت جيشانه ينتهي إلى كلام. فقد خرج عن مجاله إلى ضرب من الفعل الضّروريّ النّاجع التّواصليّ. فهو يفزع إلى لغة تقوله وتتكفّل بالعبارة عنه. لكنّ اللّغة خائنة خوّانة، كلّما حسب الصّمت أنّها تشمله أنكرته. ولنفترض أنّ الصّمت قد تحرّر من الكلام فإنّه سيخسر الإسناد الّذي يجعله ممكنا في التّواصل.

أين يوجد المعنى ؟ هل هو منتقش في النّفس ، متواشج معها ، قائم فيها ، ممكن الحدوث كمتصوّر أو متخيّل قبل أن يكون لغة في مرحلة ما قبل الضّروريّ والناجع والتّواصليّ، مرحلة ما قبل العبارة ؟ فبالبحث في الصّمت نضع سياقا لدرس الكلام، فما الّذي يجعل إنتاج المعنى ممكنا ؟ ما هو الممكن التّخييليّ والإيقاعيّ والمعجميّ والتّرميزيّ الّذي تتملّكه شجاعة العربيّة والّذي يمكن تصريفه في العبارة ؟ وكيف يخرج الشّاعر من صمته إلى بناء أنظمته الرّمزيّة ؟

إنّنا نريد أن نغامر في هذه المناطق الصّامتة والموحشة لنشاهد هذه الولادة القلقة للأنظمة العلاميّة والرّمزيّة ؟ فما معنى هذا الصّمت الرّهيب الّذي يسبق اللّغة ؟ ما حياة الأشياء قبل أن تساورها الأسماء ؟ إنّ من ملح الكلام عن قواعد الشّعر ما أورده ابن رشيق في قوله : «قالوا : قواعد الشّعر أربع : الرّغبة والرّهبة والطّرب والغضب [...] وقال عبد الملك بن مروان (26 هـ - 86 هـ = 646م - 705م) لأرطأة بن سهيّة : (... - بعد 65 هـ = ... - بعد 685م) أتقول الشّعر اليوم ؟ فقال : والله، لا أطرب ولا أغضب ولا أشرب ولا أرغب. وإنّما يجيء الشّعر عند إحداهنّ.»[4] هذه كلّها أوضاع النّفس. فالغضب والطّرب والرّغبة والرّهبة كلّها مقامات قريبة من الصّمت. هناك غليان شاعريّ جماعيّ كوّن مفهوم الأمّة الشّاعرة. فمن هو الشّاعر؟ أهو الّذي ينشئ كلاما أم هو الّذي تجيش نفسه بالغضب ؟ لقد حدّد دعبل للشّعر أصول معانيه في قوله : «من أراد المديح فبالرّغبة. ومن أراد الهجاء فبالبغضاء. ومن أراد التّشبيب فبالشّوق. ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء.»[5] فأين يقع الشّعر ؟ أفي المقام أم في الكلام ؟ إنّنا إزاء حشد عرمرم من الشّعراء لا يكتبون الشّعر. لكنّ كياناتهم تقول شعرا. فهم تلابسهم الأحوال وتمتنع عنهم الأقوال. والشّعر عند ابن المدبّر في رسالته شيء يجيش به الصّدر.[6] وهو بعبارة العسكري «أوّل خاطر».[7] وفي نظر التّوحيدي : «الكلام ينبعث في أوّل مبادئه، إمّا من عفو البديهة أو من كدّ الرّويّة. وإمّا أن يكون مركّبا منهما.»[8] ما أوّل مبادئه ؟ ذاك مبحث يدقّ فيه النّظر. هو شيء تجيش به النّفس وتضيق عنه العبارة.

لقد أشكل أمر اللّغة على جهابذة الكلام ونقّاد المعاني. وإنّ تدبّر أمر الكلام غير ممكن متى لم ننتبه إلى هذا الصّمت القائم فيه، بما هو الاحتمالات القصوى لظهور الكلام.

المعنى أمام اللّغة :

نريد ، في هذا المقام ، أن نفكّر في حدوث اللّغة ونشوء العلامة ، وأن نصوغ تصوّرا منهجيّا عن حياة الأشياء في اللّغة ومختلف صورها وتصاريف العبارة عنها.

---

(4) العمدة 1 : 82.

(5) م ن 1 : 83.

(6) الرّسالة العذراء، القاهرة : مكتبة دار الكتب المصريّة، ط 2 / 1931، ص183 .

(7) كتاب الصناعتين 141.

(8) الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزّين، مكتبة الحياة، د.ت، ج 2 : 132 .

وإنّ اللّغة لا تحيل على الأشياء أصلا. فهي تخزن صورها في المخيّلة. فحينما نقول : حجر، فإنّنا نقرن ما نراه إلى صورته المخيّلة. فنحن نحمل الأشياء - عبر اللّغة - على صور الأشياء. والكلام ينقل الأشياء من تجاورها الأصليّ إلى جوار جديد. فالحجر يجاور التّراب والماء والنّبت والشّجر في الأصل. ثمّ يصير لفظا مجاورا لحرف الجرّ وللفعل والفاعل في قولنا : رمى الولد بحجر. وإذا أجريناه مجازا صار الحجر شيئا آخر يكاد ينكر صورة الحجر إنكارا. ويمكن أن يتحوّل إلى رمز. فإذا قلت : حجر ، ذهب الذّهن إلى المقاومة والنّضال.

لنسمّ وضع الأشياء الأوّل : التّعيّنات العامّة. ولنطلق على اللّغة التّشكّلات المفهوميّة. ولنعتبرْ ما يؤول إليه أمر الأشياء التّصوّرات التّخييليّة. ولنعدّ الوضع الرّابع الّذي تبدأ فيه الأشياء تكتسب الأشكال والصّور التّمثّلات التّصويريّة. ولنجعل السّياقات النّاشئة عن ذلك في مستوى تعامليّ السّياقات التّداوليّة. ولنرسم مخطّط حياة المعنى على أصل النّشأة وكما ينعكس في التّأويل :

1- التّعيّنات العامّة	1- السّياقات التّداوليّة
2- التّشكّلات المفهوميّة	2- التّمثّلات التّصويريّة
3- التّصوّرات التّخييليّة	3- التّصوّرات التّخييليّة
4- التّمثّلات التّصويريّة	4- التّشكّلات المفهوميّة
5- السّياقات التّداوليّة	5- التّعيّنات العامّة
تركيـــــب	تفكيـــــك

ونورد مثالا مجرّدا. وله تركيبات ثقافيّة متعدّدة. فإذا انطلقنا من تعيّن عامّ : صلاة هي شكل من القواعد الدّينيّة متمثّلةً في حركات وأقوال يؤدّيها متعبّد في الدّين الإسلاميّ. فهذا التّعيّن العامّ له سند ثقافيّ هو استقرار أشكال طقس من العبادة. وأوّل من سمّى ذلك الشّيء الّذي رآه صلاة انتقل من تعيّن عامّ للعبادة إلى إسم يحوّل الصّلاة من حركات ماثلة للعيان إلى مفهوم معوّض لمثول الأشكال للعين بظهور صورها في الذّهن وانقطاع المرجع. فالأشكال سابقة على أسمائها. وهي بمجرّد تحوّلها إلى مفاهيم ينعكس المسار، مثلا الباب من حيث هو نصبة انتقل إلى عبارة باب ؛ أي تحوّل من تعيّن عامّ إلى تشكّل مفهوميّ. فبمجرّد أن نحصل على

تشكّل مفهوميّ نتحوّل من اقتضاء العين إلى تجريدات الذّهن. ويصير للشّيء رسم وإسم وصورة داخل مخزن الصّور. وهي أشياء قابلة لأشكال من التّأليف والتّركيب والتّصرّف. فإذا قلنا : «باب» ذهب الذّهن إلى باب كبير أو صغير من حيث الحجم، ولوح أو حديد من جهة المعدن، وحقيقيّ أو خياليّ على أساس النّوع، على أنّ الباب يمكن أن يتركّب من لوح وقفل ومسامير. وعبارة باب تتألّف من حروف وحركات مكتوبةً ومن نَفَسٍ ملفوظةً. ويمكن أن يكون الباب في علاقة مع منزل. وعبارة باب في صلة مع أسماءٍ وأفعال وحروف. فلكلٍّ حياته. البابُ الشّيءُ له نظام وجود والباب الإسمُ له نظام ثان. وكلّ ما يدخل المجرّد لا يرجع إلى المحسوس. فالباب الشّيءُ تحوّل إلى عبارة باب، أيّ إلى إسم. والإسم لا يعيّن شكلا مفردا، كأنّ نرى شيئا لا نتبيّنه في الظّلام. فنقول : كأنّه باب، معنى ذلك أنّ الشّكل الأوّل تحوّل إلى صورة. وأبقى الإسم بعض سمات الشّكل. وللباب أشكال متعدّدة ستتكفّل بها النّعتية أو البدليّة أو التّمييز، إذ يتحوّل الباب إلى نظام شكليّ صوريّ هو الّذي يعيّن باللّفظ لا الباب الحقيقيّ. فالإسم يُشتقّ من نظام كلّيّ للباب. يتحوّل إلى إسم. لكنّ الإسم لا يرجع إليه ليعيّنه لأنّه من المجرّد. والمجرّد لا يعبّر عن محسوس واحد، ولأنّه كلّيّ. والكلّيّ لا يشير إلى محسوس مفرد.

انتهينا إلى أنّ المجرّدات غير التّعيّنات. فنحن لا نرى المجرّد إلاّ بحمله على تعيّن. فقد يحصل لنا ، ونحن نقرأ خبرا قديما أو حكاية لشهرزاد، أن نتخيّل أنّ الحكاية تحدث في مكان نعرفه لأنّنا لا نمتلك الصّورة الأصليّة لهذا المكان إلا عبر أوصاف وتمثيلات. ولا نتمثّل المجرّدات إلاّ عن طريق تعيّنات أخرى. فللأشياء مقامات ومواضع.والصّور تتجرّد. لكنّها لا تكوّن تصوّرات تخييليّة إلاّ بالرّجوع إلى سياقات تعامليّة إذ نقحم مجرّدا في سياق عينيّ. فالأشياء تتحوّل إلى صور. والصّور إلى أسماء. لكنّ الأسماء لا تعود إلى الأشياء؛ هي تقاربها. ولا ندري شيئا كثيرا عن كيفيّات مقاربتها لها. فبمجرّد تحوّلها -وهو تحوّل تبقى فيه ماثلة كحقائق- تذهب وتلد ما ينوب عنها. **فاللّغة تنوب عن الأشياء. أو هي خبر عن الأشياء** . وإنّ الرّمز والشّعر والتّأويل والاختلاف تسكن هذه المناطق المزروعة دوما بالشّبهة والفتنة. ما الجنون مثلا ؟ هو انقطاع تامّ بين عمود التّعيّنات العامّة وسياسة الفعل التّصوّريّ والمفهوميّ وانقطاع التّصوّرات التّخييليّة عن التّشكّلات المفهوميّة وفقدان السّند التّعيّنيّ العامّ للعبارة.

بقيَ أن نتدبّر التّمثّلات التّصويريّة بناء على التّعيّنات والأخاييل وسياقات التّعامل. فالمسافة من تعيّن عامّ إلى سياق تداوليّ طويلة وشاقّة. وإنّ التّعيّن ضرب من الحياة حينما كانت الأشياء قبل الإنسان وقبل اللّغة وقبل المنطق خارج أيّ تشكّل مفهوميّ. والسّياق التّعامليّ هو آخر إمكانيّة لمضارب القول وتعيّناته وأفعال الحياة فيه.

وإنّ الشّيء يتمثّل لك على نحو من الأنحاء صورةً منه. لكنّها ليست هو. هي خدعة له، كما نشاهد اليوم صورة على الشّاشة ، فتقول : هذا فلان . وليس ما نرى إلاّ ذبذبات متجمّعة تشكّل صورة. ذاك شأن الذّهن مع الأشياء والأسماء. فالتّمثّلات صور مختلفة من الأشياء ورموزها في الذّهن بما هو مخزن للمعاني. ولذلك كان «الإخبار عن الشّيء لا يغيّر من حاله.»[9] فلقد نشأت السّمات والعلامات للإنباء عن الأشياء والعبارة عن مختلف صورها ووجوهها.

وهكذا، فإنّ للموقف التّواصلي أثرا في بناء الخطاب نفسه. فأن تفكّك خطابا يعني أن تفترض له بناء. وفي الصّبغة الشّفويّة للأفعال الإنجازيّة يمكن للسّياق أن يبنيَ كثيرا من عناصر انسجام الخطاب لاسيّما في الخطابات ذات الصّبغة الحجاجيّة والحواريّة. فأوضاع المشاركين في الخطاب واعتقاداتهم تبني أشكال الخطاب. وهكذا تستحكم العلاقة بين مقاصد القائل ومطالب المتلقّي.

وإنّ الظّاهرة اللّسانية تتشكّل في خطاب . وتتعدّد وجوه درسه من لسانيّة الخطاب إلى تداوليّة الخطاب، فإلى إنتاج الخطاب وسلطته. وتطوّرت مقولة السّياق في أعمال فان دايك ودرسلر وريسشار وشيفر ووندارليش. وقد أثاروا مسائل تتعلّق بنظريّة نحو النّصّ ونظريّة أفعال الكلام . ويمكن ضبط اتّجاهات تحليل من الدّراسة اللّسانية للخطاب إلى البحث التّداوليّ.

وإنّ ما نريد أن نشرع فيه، ههنا، هو استكشاف نظريّة النّصّ بناء على تصوّرات جديدة مثل كون النّحو عبارة عن نسق صوريّ القواعد ، دلاليّ أفعال الكلام وكون المقامات التّواصليّة تتأسّس إلى حدّ أنّها تؤثّر في استقرار الأنسقة الصّوريّة وقواعدها وأبنيتها وتراكيبها.

(9) القاضي عبد الجبّار ، المغني في أبواب التّوحيد والعدل 5 : 173 .

ويتأسّس تصوّرنا على صياغة نظريّة مجرّدة للسانيّات الخطاب وفي وجه مخصوص من مقام هذا الخطاب وهو النّصّ. وهو في سياق بحثنا النّصّ الشّعريّ.(10) فأن يقول المتكلّم شيئا واللّغة تقول شيئا آخر فهذا ممّا يثير جملة من القضايا النّظريّة. والإشكال هو : كيف أنّ معنى المتكلّم ومعنى الكلام لا يتّفقان. «إنّه مشكل معرفيّ من جنس خاصّ : أن نقول شيئا ونعنيَ شيئا آخر.»(11) ممّا سيكون له أثر في النّظريّة الدّلاليّة والمباحث الدّائرة حولها.

إنّنا بإزاء إشكال نظريّ خطير هو لاكفاية نحو النّصّ ومتواليات الخطاب للوقوع على شعريّة الكلام. فالنّصّ ليس موسوعة من السّمات المنسجمة في بنية فحسب. وإنّنا، بقدرما نقع على الوحدات المكوّنة للنّصّ نرتاب في أمره ارتياب من ساورته الشّكوك في أنّ في النّصّ مواقع أخرى لم يستبنها النّظر.

المعنى أمام السّياق :

يهدف هذا الدّرس إلى بناء منهج تداوليّ للخطاب مع وعينا بمبلغ القصور الّذي عليه الدّراسات باللّسان العربيّ في هذا المجال . وعلينا أن نفيد من النّظريّة التّداوليّة لأنّ وصف الخطاب باعتباره متوالية جمل يقتضي تفسيرا لشروط متوالية أفعال الكلام . فقراءة بنية التّلفّظ تتطلّب إلماما بظروف التّلفّظ.

(10) Voir VANDIJK, Teuna, ***some Aspects of Text Grammars***, The Hague : Mouton, 1972,
- ***Taal, Tekst, Teken, (Langage, Texte, signe)*** Amesterdam : Athnaeum, 1971.
- ***Issue in the pragmatics of discourse***, University of Amesterdam, mimeo, 1975.
- **Pragmatics of language and literature**, Amesterdam : North Holland, 1975.
- **DRESSLER**, w, **Eingührung in die Texlinguistik**, Tübingen : Neiemeyer, 1972.
REIZCHER, Nicholas, ***The Coherence Theory of Truth***. London ; Oxford, UP, 1973.
- **SCHIFFER**, stephen R, ***Meaning***, London : Oxford, UP, 1972
- **SCHMIDT**, Siegfried, J, ***Text theories***, Munich : Fink (UTB) wunderlich, Dieter.
- **Linguistsche pragmatik**, Frankfurt : Atnaeum, 1972.

(11) **VANDIJK**, T. **Formal semantics of Metaphorical Discourse**, Poétics 14/15, 1975, p 98.
Et Voir
- **GUENTNER**, Franz, **On the semantics of Metaphor**, Poetics 14/15, 1975, pp. 199-220.
- **ARISTOTE**, **La poétique**, Texte, traduction, notes par Roselyne DUPONT - ROC et Jean LOTTOT, Seuil, Paris, 1980.
- **CHARLES**, Michel, **Le discours des figures**, Poétique, 1973, pp. 340-364.
- **DUBOIT**, Jacques et autres, **Rhétorique de la poésie**, Edition complexes, Bruxelles, 1977.
- **LEWIS**, C.D., **The poetic Image**, Jonathan cape, London, 1966.
- **STAROBINSKI**, **Les mots sous les mots**, Paris, Gallimard, 1971.
- **SEARLE**, John, R, ***Sens et Expression*** **: Etudes des théories des actes du langage,** Ed, Minuit, 1982.

وليس المقصد الأصليّ لهذا المبحث استقصاء النّظريّة التّداوليّة للخطاب وعلاقة علم الدّلالة بالتّداوليّة بوجه عامّ. وإنّما نريد أن نظفر بمدخل حاسم لعرض مشاكل تتعلّق بنحو النّصّ. إلاّ أنّ تدقيق المعرفة في اللّسانيّات ونظريّة أفعال الكلام وتحصيل أبوابها وأقسامها عمل أكيد وضروريّ.

ما هي علاقة النّصّ بالسّياق؟ إنّ التّفكير في هذا الموضوع يتطلّب فكّ شبكة معقّدة جدّا من المكوّنات. فالألفاظ قائمة في صيغ صوتيّة وصرفيّة وتركيبيّة. وهي وحدات قائمة بذاتها وتقيم هيئات أخرى لغيرها. فالصّوت يُحدَّد من حيث هو تصويت ومن حيث هو مركّب في نظام الكلمة. والكلمة تُحدّد من حيث هي لفظ ومن حيث هي مركّب للتّلفّظ. فلها وجه نظريّ ووجه آخر في اسراتيجيا التّلفّظ أو ما يسمّيه العرب بالاعتقاد. وهو جنس المعنى القائم في اللّفظ أثناء العبارة. وبما أنّ كلّ عبارة إفضاء بمعنى، فإنّ شروط التّواصل تقتضي سياقا فيه يُفكّ الاعتقاد. والمتلقّي يبني إمكانيّة فهم للأفعال الإنجازيّة ولمحتويات الخطاب وإحالاته وإيحاءاتهوإنّ ما يشكل علينا في الشّعر الحديث مثلا هو أنّ متواليات انسجام الخطاب أو استراتيجيا الخطاب لا تنبني على معنى سابق. والأسماءُ فيها لا تقيم هيئة معنى.

وإنّما تبني فضاء احتماليّا منفتحا لأنّ اختصاص اللّفظ بالمعنى مسألة تهمّ اللّغة وحدوث المواضعات لا الكلام. فالشّيء قائم خارج فضاء التّلفّظ. واللّفظ احتمال للشّيء. والجمل الإنجازيّة تُدخل الشيء في الحركة والصّفة والزّمن وتشغلهضمن استراتيجيا تخاطب

وإنّ هذه الدّراسة أردنا بها اختبار المعنى والاختلاف من حيث إمكان هذه العلاقة واستحالتها في الثّقافة العربيّة وهي تواجه وضع اللّبنات الأولى لمنطق غير تمثيليّ. ورغم منح قيمة خلافيّة لدرس المعنى، فإنّ الدّارس يقع في نمط من التّأويل يزاوج بين حدود التّمثيل ومسالك الاختلاف. فقد تمّ بناء المحسوس بناء تمثيليًا. وتمرّدت الدّوالّ على الأشياء وأنكرت صلتها بها.

إنّه المعنى على عتبة الحداثة يتشكّل قليلا قليلا. فلم تعد الأشياء تطلب التّمثيل. لقد صار مقام التّحديث جاهزا لانقلابات وقطائع مصيريّة في حياة الكيان. فالحداثة لم تطلب اكتشاف أشياء مجهولة. وإنّما وضعت ما هو معتبر معروفا محلّ ريبة. وإنّ اللّغة من حيث هي نمط وجود صارت في موضع تهمة. ومحنة الحداثة في أنّها تقاوم تناهي الإنسان وركود كيانه بإعادة تشكيل الكائن عبر إعادة تشكيل لغته.

وإنّ تجربة اللّغة القديمة قد تهاوت وتهاوت معها علاقة الكيان بالأشياء. فالكائن لا يلتقي بكيانه إلاّ عبر العلامات والسّمات بشكل إدراكيّ. ولا يمكن للكيان إلاّ أن يتوسّل إلى ذلك بالمحسوس : الأشياء، لكنّ هذه اللُّحمة تمزّقت. وتكوّن نسيج من الاختلافات. فالكيان ينكشف في حيّز اللّغة ؛ إنّها خطّة حداثيّة لأشكال الوجود، هذه الّتي دشّنها الاختلاف. فقد كانت الكلمات لا قيمة لها إلاّ من حيث دورها التّمثيليّ. ولم تفقد الكلمة، مع الحداثة، قدرتها على التّمثيل، وإنّما صار بإمكانها أن تخلّ بهذه المهمّة. ولم يعد التّمثيل شرطا لكينونتها. وليس التّمثيل هو الّذي يخوّل لها المشاركة في بناء الجملة. فالمعنى الّذي يكون للكلمة في الخطاب الّذي انخرطت فيه تضعف فيه تمثيليّتها الأصليّة للأشياء. وما تدلّ عليه يكون بفضل علاقاتها النحويّة، بمعنى وظائفها، فتطرأ عليها تحوّلات هي من أثر المحلّ الإعرابيّ. وبكثرة جريانها تتقلّص تمثيليّتها وتصير تخدم علاقات الخطاب أكثر من ارتباطات التّمثيل وتستجيب لقانون التّماسك التّركيبيّ. فتنسى قانون التّماثل والتّطابق، مثل :

بزغ	القمر	باكرا	قانون التّرابط التّركيبيّ

قانون التّماثل والتّطابق

وإنّ الخطاب حركة تموّجيّة بين القانونين. والبلاغة والشّعر ينبنيان في قانون التّرابط التّركيبيّ. ويهمّشان قانون التّماثل والتّطابق. **ومن الصّعب أن تدرك ثقافة مازالت منخرطة بصفة سلبيّة في طقس التّمثيل أنّ خطابها قد صار كثيفا واكتسب ثقلا مخصوصا. لقد بدأنا نتأوّل أنفسنا بصفة متأخّرة.** فاللّغة أخذت في اكتساب أبعاد لا تُردّ إلى التّمثيل. وسنبيّن في الفصل الآتي كيف أنّ بلاغتنا كانت تمثيليّة بالأساس وأنّها اشتغلت - حتّى في أكثر الاستعارات طرافة ومزيّة - على التّطابق والتّمثيل. وإنّ نصوصنا، اليوم، تحاول عبور هذا الحيّز وتصريف الكلمات على محور التّوزيع على أنحاء، من فرط رغبتها في كسر نظام التّطابق، كسرت نظام المعنى.

وإنّ من اللّغات ما هو أكثر مطاوعة للتّوزيع. فبعض اللّغات توزّع بحركات الإعراب أكثر من حروف العطف والجرّ وبعضها تنزع إلى الإسميّة أكثر من الفعليّة ممّا يؤثّر في تعالقات الكلام وأبعاده الشّعريّة مثل أنّ «اشتعل الرأس شيبا»[13] ليست في لذّتها مثل أشتعل الرّأس من الشّيب. وهذه المزايا الّتي ينشئها البعد التّركيبيّ لا البعد التّماثليّ تنتظر من يحوّل ملاحظاتها العميقة إلى مبحث مكتمل.

وليس هناك لغة أثرى من لغة، كما ذهب الاعتقاد، بكثرة كلمات معجمها وفي أنّها تمتلك خمسمائة إسم للصّحراء وسبعين إسما للكلب. ليست المزيّة في كثرة أسماء الكلاب. وإنّما في أن يُصرّف الاسم الواحد للكلب على وجوه تركيبيّة عديدة.

وإنّ هذا الانقلاب الحادث في تاريخ الكلمات يُعدّ من أهمّ الأحداث الّتي طرأت على الثّقافة العربيّة. وقد حقّقت فيه طورا هامّا من الانقطاع عن التّمثيل في الخطاب الشّعريّ.

ولقد صارت أهميّة الكلمة في تحديد معنى كلمة أخرى هي بدورها موكول إليها تحديد معنى كلمة أخرى وهكذا يستمرّ تأليف الوحدات الخطابيّة، **وليس توزيع الكلمات تتاليا لوحدات تمثيليّة أو مجموعا لها. فدلالة الخطاب ليست مجموع دلالات الكلمات الّتي تَركّب منها.** إنّ مبدأ الجوار عوّض مبدأ التّمثيل في الدّلالة. وربّ معترض يقول : إنّ أنساق تأليف الكلمات محدّد. إنّ ذلك يبدو للنّظر الأوّل. لكنّ

(13) مريم 19 : 4.

تعمّق هذه الأنساق وما تحويه من الدّلالات المحتملة يجعلنا ندرك أن كلّ إمكانيّة تركيبيّة ذات دلالة مخصوصة لا تتكرّر، فَتَحْتَ وظيفة الفاعل نجد عددا غير محصور ونجد من الأحوال والنّعوت ما لا يدركه الخيال. **هناك أنساق شكليّة تركيبيّة ثابتة وتحوّلات دلاليّة محتملة.**

لقد انفتحت الكلمات على المحتمل لأنّ الكلمات صارت مشحونة بقوى الكائن ورغائبه العليا ونمط رؤيته. وإنّ اللّغة خرجت من تمثيل الأشياء الظّاهرة للحسّ إلى تصوير نشاط الكائن. فالمرء يتكلّم ليبنيَ معرفة حول نفسه وحول الأشياء، لا ليحدّ الأشياء في ذاتها. وإنّ وظيفة اللّغة التّمثيليّة كانت مطلوبة في أوّل ظهور اللّغات حيث ملأها المتكلّمون الأوائل في ذلك الزّمن السّحيق برؤيتهم وأحلامهم وشكل وجودهم. ولم يبق لنا، اليوم، سوى وهم عن تلك اللّغة. فاللّغة كانت تمتلك قدرات تمثيليّة هائلة بإنتاجها للمثل والمماثل، فكأنّ اللّغة مَثَلٌ عن الأشياء. إنّ الكيان يتعرّف نفسَه في اللّغة. واللّغة لم تعد أداة في عمليّة التّعبير، إنّها طاقة. فلغتنا هي نحن بكلّ ما فينا من نبض ورغبة.

ويريد الكيان أن يؤلّف عبارات لم تُقل من قبل في معان أقدم من الذّاكرة. لكن العبارات رسبت فيها تجارب سابقة. فاللّغة محبوكة سلفا. والمعاني قد تداولتها الكيانات.

لقد خُدع الكيان بالولادة الاصطلاحيّة للمعنى؛ **هذا الاصطلاح الّذي كان حاجة من حاجات الكيان قبل أن يؤول أمره إلى العبارة.** وبدت اللّغة كأنّها لم تكن شيئا آخر. فالمعنى أقدم من الكيان، لذلك لا يسيطر عليه، والكيان يدعو اللّغة إلى أن تساوقه. والأشياء بدأت قبل الكيان. **وتبدو المعاني كأنّها تولد ساعة يقولها الكيان ويعطيها من تاريخه الخاصّ.** فاللّغة هي الأداة الّتي يستطيع بها الكيان أن يكوّن صورة له ويقدر أن يحقّق ظهوره. لكن رغم أسبقيّة الأشياء في الوجود على الإدراك؛ لذلك يتعذّر على الكيان أن يمسك بها في زمن الولادة، **فإنّ هذا السّبق لا يمنع من بناء تاريخ دلائليّ مخصوص للكيان.**

إنّ الكيان يؤسّس إمكانا زمنيا فيه باللّغة. وإنّ ما على الكيان أن يقوله يبقى مجالا رحيبا للمحتمل. **فالكيان يذهب في الجهة الّتي تجعله ممكنا جهة الشّعر يترصّد في أفق البلاغة مولده الخاصّ.**

لقد فكّرنا في المعنى بصورة شديدة التّشابك والتّشعّب. فالكيان يقول خبرته حول نفسه. ولقد أتاحت علاقة الكلمات بالأشياء التّفكير في تصوّر العرب للشّيء والانتقال من المثول للعيان إلى الإقامة في الأذهان.

وإنّ للإدراك بعدا تعاقبيّا في حضور الأشياء فيه. وربّما كان ترتيب الأشياء في الإدراك اللّحظة الأصليّة في عبارة الكيان عن ذاته.

وإنّ اللّغة تكشف عن طبقة من الكيان. **فالكيان لا نفوذ له على زمن الأشياء إلاّ بعد تحويلها صورا مدركة، مشتقّة من الأشياء. لكنّها ليست الأشياء.**

وإنّ تحقيق الإنسان لكينونته الخاصّة فعل إنجاز معنى يريد أن يحقّق فيه معادلة المعنى هو الكائن نفسه، إلاّ أنّ الأشياء اللاّمتناهية تسكن ما هو محمول على التّناهي لارتباطه بالزّمن، أي اللّغة هذا المجهول كما تقول كرستيفا.[13]

لقد انقلبت علاقة الكيان بالمعنى. فاللّغة تفيض خارج ذاتها لتقول الكيان. وإنّ كلّ تحديد للكيان يوقعنا في ضرب من الوضعيّة. فاللّغة تحدث مسافة أو مساحة للكيان. وإنّ الأمر يتعلّق بحدود العبارة في اللّغة. فلم يعد همّ اللّغة أن تُعطينا مثال الشّيء لأنّ ذلك يجعل اللّغة منغلقة على ذاتها.

وإنّ علاقة الأشياء بالأسماء تكوّن الأفق الّذي يبنيه الكيان. **فاللّغة تُخرج الكيان من كثافة المحتمل إلى المنسجم والضّروريّ.** وإنّ الانقلاب الّذي حصل في تصوّر هذه العلاقة بين الشّيء والإسم جعلنا نفهم بعمق أنّ البعد التّمثيليّ في اللّغة يضع كيانات متشابهة ممّا يمكّن من درس أشكال وجود الإنسان. وقد تمّ تفكيك الصّبغة التّمثيليّة في اللّغة وقلبها. فكينونة الإنسان تغيّرت وفق رسوم جديدة. إنّنا، اليوم، مقبلون على شكل مجهول من العلاقة بين الإنسان واللّغة.

وإنّ استعادة أصول الخطاب اللّغويّ القديم ومقدّماته أمر لا نقاوم إغراءه إلاّ بصعوبة لأنّنا **لا نمتلك جهازا نظريّا قويّا لتأسيس التّصوّرات الجديدة لعلاقة الإنسان باللّغة** ؛ الأمر الّذي صاغت أسسه نظريّة التّمثيل القديمة، بحيث صنعت حيّزا لعمل هذه العلاقة. وتتهدّدنا مِحنة هي أخطر المحن الّتي يواجهها دارس هذه

(13) **Le langage cet inconnu :une initiation à la linguistique**, Paris, Seuil, 1981.

العلاقة في الثّقافة العربيّة ؛ هي أنّ الكيان لامتناه واللّغة لامتناهية. وتقوم اللّغة بكشف لا ينتهي للكائن. فاللّغة تغطّي بشبكتها الكيان. لكنّها تترك وراءها فراغا.

ولقد سكنت الكيانات في اللّغات. واستجابة لحاجة ملحّة أو لظهور مشكلة مّا أو تحت تأثير عقبات نظريّة قام التّشكيل بدلا من التّمثيل وصار المعنى انبناء في كيان قائله.

وإنّ الإنسان كائن مصنوع من رغائب وحاجات، يفتح لنفسه باللّغة والشّعر مجالا يضع فيه إحداثيّاته وينتج أشياء ورموزا وينظّم شبكات لإنتاجاته ويضعها في أنساق ويكوّن عالمه التّخييليّ فيتواصل به : إنّ الإنسان يكوّن رموزا يعيش بها ويمتلك، استنادا إليها، قدرة على تصريف كيانه. وإنّ الإنسان يستعمل الأنساق والصّيغ ويركّب خطاباته ويصنع آثارا من الكلام. فاللّغة تحدّد نمط الكينونة. والإنسان يبني طقوسه وعاداته وخطاباته باللّغة الّتي تشكّل نظاما للعبارة سيمنح الكيان صورة له.[14]

ولقد صار ممكنا أن نعيد رسم تاريخ علاقة الأشياء بالأسماء. فقد انتهى العهد الفقهيّ في درس اللّغة من حيث هو كشف عن المعنى وتبيانه. وانتقلنا إلى عهد لسانيّ صار فيه المعنى إنتاجا. فالنّموذج الفقهيّ اللّغوي استجاب لحاجات الكيان القديم.[15] وهكذا تزحزح التّصوّر الّذي رسم في الثّقافة العربيّة صورة للكيان في علاقته باللّغة. فالكيان لا حياة له إلاّ بمجاورة اللّغة إلاّ أنّ التّخييل يجعل الأشياء ليست على مقربة من اللّغة.

ولقد جُرّد الإنسان من الوضع المتوحّش، إذ اللّغة تروض الكيان وتجعله متميّزا بكونه ناطقا. بينما كيانات البهائم من حوله صامتة منغلقة على نفسها. فباللّغة ذهب الإنسان بعيدا نحو الكون ونحو نفسه أيضا، إلاّ أنّ الكيان فقد أشكالا ماقبل لغويّة عبّر عنها فوكو بقوله : «الصّرخات البدائيّة الّتي قد تكون دوّت في أرجاء الغابات».[16]

(14) voir G, DELEUZE, **Logique du sens**, p. 41 et Robert MARTIN, **Pour une logique du sens**, P.U.F, Paris, 1983, pp. 6-12.
(15) voir, J.C. MILNER, **De la syntaxe à l'interprétation**, Paris, Seuil, 1978, p. 25.
(16) الكلمات والأشياء، 301.

فباللّغة صار الإنسان ينطق ويتواصل ويستوحي أشياء يدمجها في تاريخه الخاصّ. وخارج اللّغة الإنسان مفرغ من التّاريخ.[17] **واللّغة أمدّت الإنسان بالحدث.** فلقد أعطت اللّغة – بعبارة مجازيّة – للكيان أرضا ووطنا. فالإنسان ينحت على اللّغة فجيعته ولذّته ويرسم ملامحه ويكوّن معرفة حول نفسه. واللّغة تتيح للإنسان ما يجعل معرفته لنفسه ممكنة ؛ لقد صار الإنسان يُطلّ على الحياة ويصنع الحياة من خلال لغته.

وإنّ الأشياء منظومة دالّة في كيان الإنسان بخلاف الحيوان الّذي تكون الأشياء لديه منظومة صوريّة، وهكذا تظهر أسئلة جوهريّة مثل تشكيل الكيان باللّغة وحدود التّشكيل وصوره وتمظهراته. وعلينا أن نضع قضايا اللّغة في أفق جديد. فمنذ أيّام الفرّاء ونحن نفكّر في اللّغة على أنّها بنية بيانيّة. وبدأنا نرى شيئا جديدا راح يبتدئ ويتشكّل في نزعة إلى اللاّمتناهي من المعنى. لقد ضعفت صبغة التّمثيل في اللّغة. ربّما كانت الدّلالة القديمة تتهاوى معنا تحت كثافة ولادة الأنظمة الرّمزيّة ممّا يبني صيغة كينونة جديدة. فبتحرّر اللّغة من التّمثيل وُجد إنسان جديد الحلم والرّغبة والحياة. والصّورة الحديثة للإنسان من عمل اللّغة. والمعنى الّذي يحمله من صنعها. فكما يقول فوكو : «إنّ الإنسان هو اختراع حديث».[18] وإنّ ذاك المعنى الّذي كوّنه بدأ في التّهافت ؛ لقد تغيّر وجداننا ولباسنا وضحكنا أيضا. فلِمَ لا يتغيّر منطق المعنى الّذي ابتنيناه في شعرنا ؛ هذا المعنى الّذي بنى الثّقافة القديمة والإنسان القديم واندثر، كما يقول فوكو «مثل وجه من الرّمل مرسوم على حدّ البحر».[19]

ولهذا الكيان الجديد مكان ولادة في نصوص الشّعر العربيّ الحديث. فهو يلغي كلّ عادات الكتابة الّتي رسّختها بلاغة البيان. **وإنّ هذه البلاغة الجديدة نشأت دون قانون أو هندسة وعلى غير تناسب. فالأشياء موضوعة في مجال اختلاف جعل من اللّغة مجالا تجريبيّا لحياة الكيان وضجّته وضيقه بنفسه وتوقه الجنونيّ إلى أن**

---

(17) Voir **Alain REY, Théorie du signe et du sens : initiation à la linguistique**, Paris, Ed Klinck sieck. pp. 5-6.
(18) Op.cité : p. 319.
(19) Idem

ينقال على وجوه لم تخطر ببال. فلقد انقلبت في شعريّتنا الحديثة علاقة الأشياء بالأسماء. **وصار اللّفظ يوجد أشياءه ثمّ يمحوها. وعن هذه الممارسة المحويّة صار الكيان يصرّف الألفاظ دون سند دلائليّ.**

ولقد ضاع الحقل الدّلاليّ للإسم في نسيج رمزيّ جديد. فالأشياء صارت تتسمّى بأسماء أخرى تضعها في شبكة غريبة عنها. وضاع عمل القرينة. فلم تعد الكلمات في قران وتشابه وتماثل. لقد صارت الجملة تحوي المتنافرات، بل في بعض النّصوص ضاعت حتّى الجملة بالمعنى النّحويّ. وانعقدت أشكال أخرى من الرّسوم.

هؤلاء الشّعراء تدمّرت لغتهم وأضاعوا مشترك اللّسان والإسم. فالحضارة الّتي كانت مدنها محوطة بالأسوار كانت كتابتها محوطة بالموانع والحدود. إنّ العيش داخل عرف المدينة ولّد الكتابة داخل عرف اللّغة. فالكتابة الحديثة جملة استلهامات رمزيّة من أشكال أخرى تبدو بعيدة ويعسر الاستدلال عليها. وضياع النُّظُم نشأ عن ضياع الكائن. والكتابة لديه حافلة بالدّروب المقطوعة والمواقع الغريبة والمعابر السّرّيّة.

إنّ الكيان العربيّ ينتقل من التّشابه إلى الاختلاف ويجد في الاختلاف تمظهره الأقصى، غير أنّ القوانين المؤسّسة للثّقافة العربيّة القديمة ؛ هذه القوانين المنظّمة لمراتب الإدراك وللّغة وللقيم تقدّم سلفا للكيان المعاني الّتي يسير عليها.

وإنّ الكيان يبدأ في الابتعاد عن جوهره حينما تجرّه اللّغة إليها وتضيع شفافيّته الأصليّة في مسافة الكلمات، غير أنّ الكلمات رغم ما تتمتّع به من نفوذ وسيادة على الكيان ليست العبارة الأفضل عنه. فالموسيقى - ولاسيّما النّفخ في النّاي - أكثر قربا من الكيان، وحتّى تماهيا معه ؛ إنّ اللّغة تصنع شبكة إدراكيّة. فهي، إذ تقتنص الكيان، تستبعد ما هو أصليّ فيه. **إنّ اللغة تُنسّق الأشياء وتُعطيها مقادير وأحداثا وأزمنة.** والكيان سابق على الكلمات والإدراكات والأزمنة.

إنّنا نصل إلى تمييز دقيق بين أشكال الوجود وأشكال العبارة. فالعبارة تالية للوجود في الثّقافة العربيّة والعبارة في الخطّة الحداثيّة تصنع وجودا.[20] وإنّنا نريد أن نفهم العلاقة في ثقافتنا. فاللّغة تصنع شروط إمكان ظهور أشكال وصور للكيان.

(20) Voir Jean-Michel REY, **L'enjeu de signe : Lecture de Nietzsche, Paris, Seuil**, 1971, pp. 120-122.

ولقد دشّن التّاريخ الحديث إبستيميّة جديدة هي الحداثة بكلّ محمولاتها اللّغويّة والثّقافيّة والعلميّة. وصرنا نفكّر في مقام آخر للكيان بصيغة وجود جديدة وشكل حادث للأشياء وقوانين تأوّلها. كلّ شيء قد تغيّر بشكل عميق وجذريّ وكثيف ومذهل، لكن كيف ؟ **حتّى الآن لم نؤرّخ لهذا الأفق الإشكاليّ الجديد : حداثة الكيان. نريد القبض على الأساس العامّ للأنظمة الحادثة في كيان الإنسان، حيث امّحت اللّغة باعتبارها لوحا يحفظ حاجات الكيان.**

وظهرت كلمات تنشئ أشكالا جديدة. فتفقد الكلمات القديمة سطوتها على الكيان وتتخلّى عن مبادئ إنتاجها. فالأشياء لم تكن تطلب من اللّغة سوى أن تُدخلها إلى الإدراك حيث تلاقي شبيهاتها وتتزاوج هناك في محلّ المعقوليّة. ثمّ دخل الكيان، وللمرّة الأولى، مجال إنتاج الأشياء. فلقد كان مسرحا للأشياء تقتحمه من كلّ صوب ؛ إنّ الكيان ابتكار جديد.

وإنّنا نسأل في درس الشّعر أو في دروس أخرى تتعلّق بسياسة العقاب في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة أو تاريخ الإثم في الإسلام ممّا يمكن أن يُسنّ من مباحث، عن **الطّريقة الّتي تستطيع بها ثقافة ما أن تسأل نفسها عن حدود الاختلاف وتمظهراته القصوى وعن جغرافيا القدرة على جعل هذا الاختلاف هو الأداة الجذريّة لبناء الكيان خارج لعنة الإثم وسطوة العقاب.**

ولقد كان بناء المعنى في ما أطلقنا عليه بلاغة القدم يقدّم تاريخ التّشابه في انتظام الأشياء في مراتب الإدراك وفي خبايا الكيان. ولقد بدا الكيان ملكا للّغة الّتي، رغم ما يظهر فيها من نزوع إلى بناء تخييلات، ظلّت محلاّ كثيفا للمتماثلات. فعلاقة اللّغة بالكيان كانت علاقة بين دخيل وداخليّ.

وارتجّت هذه العلاقة مع المولّدين، **فحاجات الكيان أربكت نظام اللّغة.** وصار التّخييل أداة قويّة لبناء مظهر آخر لعلاقة اللّغة بكيان قائلها. **فتاريخ الكيان إنّما هو تاريخ عمله في نظام الأشياء.**

هل إنّ الحداثة جعلت اللّغة تساوي الكيان، هل أحدث الكيان انقلابا خطيرا في هذه العلاقة. لقد ظهر على عتبات الحداثة كيان غريب بانقطاعاته وتصدّعاته ؛ هذا الكيان الّذي يضجّ تحت وقع كلماته.

وإنّ اللّغة تفتح حيّزا للكيان إلاّ أنّه يبقى فيه فراغ جوهريّ. وما تنقله اللّغة هو الكيان وقد أصبح وجها ثقافيّا. وما لا تأتي عليه هو اللاّمفكّر فيه واللاّشعور به وغير الواقع في الإدراك والإحساس. وإنّ تحرّر اللّغة من التّمثيل ومن مبدإ المناسبة جعلها تذهب بعيدا في قول الكيان. ولقد كان للتّمثيل في ثقافة العرب دور حاسم في بناء الأقاويل وتأويلها. فالتّمثيل ساس التّرميز. وعبر التّمثيل كان الكيان يعلن عن نفسه.

وعلينا أن نتوقّف قليلا لنتأمّل كيف كان التّمثيل سياسة للمتشابه وكيف نظّم مسالك العبارة.[21] إنّ نسيج المتشابهات كوّن قانون العلاقات الدّلاليّة. فالأشياء متجاورة ومتقاربة ومتلائمة ممّا قام عليه مفهوم اختصاص الألفاظ بالمعاني. وفي قسمة العرب للعلاقة بين اللّفظ والمعنى إلى المتواطئة : لفظ واحد لمعنى واحد، والمتباينة : كثير لكثير، والمشتركة : واحد لكثير، والمترادفة : كثير لواحد، يردّون الاشتراك والتّرادف إلى قانون الاصطلاح والتّواطؤ. وبذلك كان التّشبيه يراعي بنية التّواطؤ ويحترم شروطها. لقد قام التّشبيه على القانون الّذي صاغ الاصطلاح. فالإنسان لحمه أرض وعظامه صخور وعروقه أنهار. والتّشبيه يقوم على قرائن والعلامة اللّغويّة اعتباطيّة.

وقد وجد التّماثل مجالا كبيرا للتّحقّق. فكلّ أشكال الكون يمكن أن تتقارب. إنّ العالم القديم غارق في التّماثل. والإنسان ينقل أبنية التّشابه ويعدّدها على كلّ وجه. فهو المركز الّذي تأتي إليه التّشابهات وتتوزّع من جديد. ويمكن أن نجد في بعض الثّقافات أشياء تُجرّ إلى بنية التّشابه كالورد والموت ؛ هذا الورد الّذي يوضع على القبور. فالأشياء تقطع المسافات إلى بعضها وتتواصل. وإذا وسّعنا دائرة النّظر، فإنّنا نجد التيولوجيّات والإيديولوجيّات والعشق كلّها أبنية المتشابه. فهناك تجاذب عميق داخليّ جذريّ، ممّا يجعل الأشياء متطابقة فيما بينها وقابلة للاختلاط. فيتقلّص الوجود إلى كتلة متجانسة ممّا لم نشرع فيه بعد من كثرة ما تغلغلت فينا بنية التّشابه ؛ هذه البنية الأخلاقيّة الّتي وجدت متّسعا في الغنى اللاّمتناهي للمتشابه.

(21) في تأمّل هذه المناطق النّظريّة الصّعبة راجع :

S. SCHMIDT, **Text Theories**, Munich : Fink (UTB) wunderlich, Dieter, p. 20.

ففي إبستيميّة تلتفّ فيها العلامات والمتشابهات على بعضها تكوّن نحو وعروض وانبنى معنى.

هذا هو الأمر الّذي نريد أن نطرحه على النّاس في مواضعاته الحرجة، لا أن ندرس التّشبيه في الشّعر ونضبط له مصطلحا ثابتا لا يكرّس إلاّ الوصفيّة. لقد حبّر القوم ما حبّروا في هذا الحيّز. وحتّى التّأويل لا يمكنه، أمام هذه الإكراهات المكبّلة، ألاّ يتيقّظ على هذا المجال الرّهيب من المختلف ليكتشف **كم كانت بنية التّشابه تكسر كلّ إمكانيّة ولادة للاختلاف**. وإنّ كلّ إرثنا من التّشابه صار اليوم، بفعل الحوار العميق الجذريّ مع غيرنا معرّضا للتّنازع وحتّى للإتلاف. ولم يعد المنهج في أن نرى ما تقوله الأشياء. وإنّما في أن تتركّب فينا على أنحاء مختلفة عمّا تعنيه للرّائي في الأصل.

لم تكن لحضارتنا رغبة في صناعة الخوارق وهي تحمل معجزتها معها. وكان الكيان يتعرّف نفسه في اللّغة لأنّه يعيش في أمنها. وهي في غفلة عن معان تتخفّى داخل الأشياء. فمن شدّة اعتقادها أنّ كلّ ما في الكون حكمة لم تتفطّن إلى احتمالاتها القصوى.

صارت علاقة الأسماء بالأشياء يُشبه تفكيكها العرافة أو التّنجيم. فالأشياء، في بعد منها شفّافة، تكاد تساوق اللّغة. لكن العلاقات بين الأشياء ؛ هذه العلاقات النّحوية التّركيبيّة، لم تصبح غير متلائمة في نسق إلا بقدرما أُزيل عنها التّشابه. **لقد ترك زوال التّشابه المدى خاليا**. ففي أوّل صباح نطق الإنسان كانت لغته ممزوجة برائحة الأشياء. واللّغة كانت تشبه الكائنات وتتقارب المسافات ويذهب التّنافر. فهويّة الأشياء في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة نظرت إلى المؤتلف والمنسجم وأسّست عليه قيمها وأشاحت بوجهها من علاقات الشّراسة والدّم والتّقاتل، هذه الأمور النّاشئة من الحركة لا من وضع الأشياء. فالأشياء تدخل في أشكال لا حدود لها. وبهذه اللّعبة يبقى العالم على حاله وتستمرّ المشابهات وتبقى الحضارة مقفلة على نفسها، لا غنم فيها إلا للسّلطة الّتي تريد التّحكّم في بنية منسجمة تفهمها وتسوسها.

ومع ذلك، فإنّ النّسق لم ينغلق تماما، في الأمر فرجة، يمكن للعبة التّشابه أن تنفلت من نفسها وتحطّم أصولها وترفض الانطواء على أنساقها، ذاك رهان

التّحديث تدمير ليل التّشابه، فالتّشبيه أُعدّ، في ثقافتنا، منذ زمن طويل للبقاء على سطح الأشياء. والتّشابه هو إظهار الأشياء في بيانها الأقصى. وعالم التّشابه عالم مثاليّ غذّته ميتافيزيقا هذه الحضارة وقدّمته على أنّه ثروة من العلامات لن تُخرج الكيان من مجهولاته العميقة مادام وجه العالم مغطّى بالعلامات.

وإنّ أهمّ ملمح في بنية التّشابه هو التّكرار التّماثليّ حتّى صار الكيان مرايا متقابلة تتعاكس عليها الكلمات والأشياء. وإنّ الحركات العميقة في الكائن، هذه الّتي لا تظهر على لوحة اللّغة المبنيّة على التّشابه تبقى بعيدة عن الالتقاط اللّغويّ. فيتكوّن فينا ركام من الأشياء الّتي لم تتحوّل إلى علامات من فرط أنّ اللّغة غمرتها بنية التّشابه. وهكذا تتقارب أبنية الرّغبة بما يضيع عنّا أشياء لم تتمكّن اللّغة من التقاطها. وفي هذا الموضع الحالك وُلد الشّعر عاريا من لعنة الإسم.

وإن التّشبيه يدلّ بقدرما يملك المشبّه به من بيان. ولذلك، فإنّ للتّشبيه حدودا. فالأشياء تتكلّم وتكشف معانيها باستدعاء غيرها، مع أنّها تنكشف بعلاماتها، فما الّذي دعا إلى التّشبيه ؟ هل هو فعل طبيعيّ من عمل بنية التّماثل أم يدلّ على أنّ العلامات غير كافية للإحاطة بوجود الأشياء ؟ لقد انبنى التّأويل على تتّبع أبنية التّماثل. فشرح المعنى هو إظهار ما يتشابه وينسجم واكتشاف الأشياء المتعالقة. واللّغة تحكي الكائنات. فشبكة التّشابه تحكم الكون من أدناه إلى أقصاه. واللّغة تذهب في كلّ وجهة تصنع الشّبيه في حضره شبيهه.

وإنّ عناءنا ليزداد إذا أردنا تفكيك الأجهزة العرقيّة الّتي كوّنت منطق للتّشابه في حضارة العرب، ما العمل وقد طوّقتنا المشابهات من كلّ حدب وصوب كما يقال عادة ؟ لقد تراكمت الأبنية ووَجدت في الأدب والشّعر تجلّياتها القصوى. فالتّشابه يسكن العلامة ويتخلّلها. وهو سلطة على الخطاب. فهذه الحضارة كانت، في هذا الوجه – دون أن يكون هذا الحكم عامّا – قد حكمت على نفسها بألاّ ترى الأشياء إلاّ في نسيج التّشابه، هذا الطّريق الّذي لم تكن تدري له آخر لأنّها – وبكلّ بساطة – لم تضعه لنفسها.

المشابهة، إذن، قديمة، وليست محدثة – بعبارة الأصوليّين والمتكلّمين – أمّا التّشبيه فهو محدث. لكنّه ليس محدثا إلا بمقدارما يجعل المشابهة بنية معبّرا عنها. لقد بنت المشابهة التّشكيل الثّقافيّ للحضارة العربيّة الإسلاميّة. لكن هناك، في

الحدّ الأقصى من الجهة الأخرى، يولد نظام آخر لامتناه. فنحن متى سألنا ثقافتنا عن هذه الجهة وجدنا بعض مطلبنا لدى ابن رشد الّذي فكّك العناصر الّتي جعلت هذه الثّقافة ممكنة، أي ما جعلها وعاء للتّماثلات. فنحن حينما نقرأ الكفر أو الإثم قراءة أركيولوجيّة نجد لنا نصوصا كثيرة. وكذلك الأمر متى نقرأ الجنون أو الضّحك أو الحمق ؛ هذه المجالات الشّديدة الثّراء في دراسة تراثنا.

لقد ابتعدت الأسماء عن الأشياء. فهي - وإن ألّفت بُعدا من المدى الّذي يختلج فيه الكيان - لم تعد تصغي إلى الأشياء. لكن، في اللّغة، مبدأ داخليّ هو التّكاثر. واللّغة تؤوّل الأشياء في تدفّق لامتناه لا يتوقّف أبدا. لقد صار المعنى وعدا. ولذلك صار طلبه عندنا، اليوم، بحثا في التّخفّي. فاللّغة، من حيث هي تجربة ثقافيّة، ارتجّت بين إيهامها بالاصطلاح وفشل لاتناهي التّأويل في حصر معانيها.

لو كانت الأشياء هي الأسماء لاستحالت الحياة. ولو كانت الأشياء لا علاقة لها بالأسماء أصلا لاستحالت أيضا. وبقدر التّقارب والتّباعد والظّهور والخفاء والانسجام والاضطراب تنشأ العبارة.

وإنّ تجربة اللّغة مع الأشياء ولّدت الأنظمة والشّرائع والسّلط وأنتجت أشكال الحمق والجنون والهذيان. **وما لا يستطيع الكيان أن يعلنه يبقى بابا لإمكان عبارة تظلّ مجهولة في هذه الأرضيّة غير المتماسكة لظهور المعنى. فاللّغة حالة خاصّة من العبارة.** والكارثة الكبرى في تاريخ العبارة اللّغويّة هو انقطاعها عن دور التّمثيل ورعاية القابل للقول. فاللّغة امتصّت ثرواتها سيادةُ التّشبيه. ففي اجتياز التّمثيل وتأسّس مظهر آخر للعبارة سيبقى هذا المدى الباطل خلف اللّغة لأنّها سترسم، يوما بعد يوم، وعدا بمعنى لن تفيَ به أبدا.

لقد ولّى زمن التّشابه. فاللّغة كانت قريبة من المرئيّ. والمتكلّم ينظر ويتكلّم معا. لا مسافة بين المرئيّ والمقول. وصارت اللّغة مأوى اللاّتشابه والتّشظّي. **ففي النّصوص الشّعريّة الحداثيّة فسخت اللّغة قرابتها للأشياء وألغت محور التّشابه. وما إن تفكّك التّشابه حتّى انتهى عصر إنسان المشابهات وكيان المشابهات. فالكيان العربيّ استلبه التّماثل.** واللّغة صارت تأخذ الأشياء على غير ما هي وتحسب شيئا شيئا آخر. **إنّ اللّغة ليست مختلفة عن الأشياء إلاّ**

بقدرما تجهل هذا الاختلاف وتعبّر عنه في آن. والشّاعر يعثر وراء الاختلاف على تشابهات غابرة بين الأشياء. **فهل ستمحو اللّغة يوما كلّ الأشياء ؟**

إنّ الشّبه لم يكفّ يوما عن التّكاثر، والشّعراء ألهاهم التّكاثر عن رؤية أنفسهم. فاللّغة مشحونة بالتّشابه، إلاّ أنّ الفضاء الثّقافيّ الحديث لن تبقى فيه المسألة مسألة تشابه، وإنّما مسألة اختلاف.

وإنّ نقل الكيان إلى اللّغة وترويضه على مقتضى العبارة شأن عسير على الشّعراء وقد فطنوا إلى ما يحملونه بين ضلوعهم من نبض. وإنّ العلامات ليست الأشياء أصلا، وإنّما هي إشارات إليها.

وقد تأسّس المعنى على التّوافق والانسجام. فالمقارنات طريق إلى بناء المعاني. ونظام الأشياء مكيّف بحسب الطّريقة الّتي نعرفه بها. وإنّ ثقافتنا كانت ترى القرابات والتّشابهات على أنّ الكائن لا يُدرِك من حيث يقع على المتشابه، وإنّما على المتمايز الّذي هو أوّل درجات الاختلاف. والكلمات صارت لا تترجم الأشياء عبر أبنية التّشابه. وإنّ الأشياء – حتّى لو بقيت صامتة ولم يلمحها أحد – تظلّ دالّة خارج اللّغة. لكنّ اللّغة استحوذت على الأشياء والانفعالات.

لقد جعلت اللّغة الكيان بعيدا عن نفسه. وهي تسعى إلى جعله منطويا على علاماته. فعلاقة الدّالّ بالمدلول تشغل حيّزا غير متجانس المعنى، لا يكفل للعلاقة الضّبط الدّلاليّ الدّقيق. والدّالّ يبدو شفّافا أمام مدلوله ويجوب كلّ جهاته، ثمّ يخرق الدّالّ مبدأ التّمثيل. فالبحث في الأشياء بحث في الكلمات الّتي تمثّلها. **لقد صرنا نسكن عالما من الكلمات ذهبت عنه أشياؤه.** وفي اللّسان العربيّ أساسا – والحكم يجوز على ألسنة أخرى – لا تنعقد علاقة بين دالّ ومدلول إلاّ بمقدارما هما أو ما كانا أو ما يؤولان إليه ، ممثّلين ؛ أي بمقدارما يمثّل أحدهما الآخر. **فالعلامة هذا الحيّز الضيّق الّذي سكنته الأشياء منع من نشوء أشكال من المخاطبة لا نقدر على تصوّرها حتّى على وجه الاشتباه.**

كيف نمرّ من الشّيء إلى المعنى ؟ ليس للشّيء إلاّ المعنى الّذي نضفيه عليه. فنحن نظفر بتمظهرات للشّيء. وليس المشكل في إنتاج المعنى وإنّما في المعنى ناتجا. فالمعنى يسكن الصّيغ والتّراكيب. فهل الأبنية اللّغويّة شبه من أبنية الكيان ؟ إنّنا

نبحث في الكيان بعدما عملت فيه اللّغة وشكّلته. فالكيان تُظهره العبارة بقوانينها الخاصّة، فهل الكيان يوجّه النّظام اللّغويّ ؟ إنّ اللّغة هي جمّاع الحاجات، وعن الحاجات نشأت العبارة.

وإنّ علاقة اللّغة بالكلام متوتّرة. فالكلام هو إدخال اللّغة في الحركة والزّمن. **واللّغة أشكال مجرّدة يجعلها الكلام صيغا منجزة بحسب مناويله**. لكن الأشكال المجرّدة ليست ملزمة. فلو كانت كذلك لامتنع المجاز.

فهل المعنى ملك للّغة أم للمتكلّم أم هو حاصل تجارب اللّغة مع الكيان ؟ إنّ المعنى شيء من كلّ هذا، فقد يريد المتكلّم قول شيء وتقول اللّغة شيئا آخر، وقد يقتنص المتكلّم لغة تقوله : فالمتكلم يريد القبض على «اللّحظة الأيقونيّة من المجاز» بعبارة ريكور.[22]

لقد سعت الحداثة إلى تحرير الكلمات من الأشياء ومن مُنشئها وجعل النّسق أساسا للاعتبار. فلا حياة للّغة إلاّ إذا انعقدت علاقات بين كلماتها. فمنذ «الصّرخة البدائيّة» إلى آخر المنظومات اللّغويّة تعقّدا وتشابكا واللّغة تبني تاريخ الكائن، غير أنّ المتكلّم قد لا يسيطر على هذه اللّغة. **فالقواعد النّحويّة قد تشتغل بشكل يجعل الأقوال حركة نسق لا تطيع رغائب المتكلّم. وإنّ المعنى النّحويّ قد يكون أقوى من إرادة المتكلّم**. وإنّ الكيان يقع في حبال النّحو. فللكلام كثافته. وإنّ كلّ خطاب يظلّ يحمل جزءا صامتا فيه. **وفي أعماق الكلام ضجيج آخر نرهف له السّمع**. إنّنا ننطق باللّغة لنضع فيها ما نريد قوله. لكنّ اللّغة تغالطنا لأنّ لها ما تريد فرضه علينا. فللكلام أنساق إلزاميّة. والكلمات قد شُحنت معاني من قبلنا. والمتكلّم يوجّه الكلمات نحو ما يرغب فيه ويريد أن ينقال عبرها ورغما عنها. **فهل المتكلّم حقّا يوجد قبل الجمل الّتي ينطق بها أم أنّه يوجد بعدها** ؟ أهو منجزها ومرتّب معانيها أم نتيجة لها ؟ إنّ لغة الإنسان العربيّ، إلى الآن، تريد حياكته حسب قواعدها.

---

(22) **La métaphore vive**, p. 238.

المتكلّم، في وجه من كلامه أو بما هو وجه لكلامه، يريد أن يتغلّب على الأنساق والمعاني القائمة عليها اللّغة والقائمة فيها. لقد حدّد كلّ ذلك **الانتقال من طقس المدلول إلى طقس الدال**. فهناك قوالب تفرض نفسها على المتكلّم. **وصارت اللّغة حياةً للدّوال، بمعنى التفات اللّغة إلى نفسها ونسيان الأشياء والمتكلّم**، هذا الالتفات الّذي خوّل للّغة أن تتحوّل من طبقة سميكة، لا تمثّل نفسها إلى شفّافة، لا تمثّل إلاّ نفسها.

ولمّا لم يجد الإنسان للّغة مجال مواجهة **لجأ إلى البلاغة لامتلاك سلطة التّكلّم وإلغاء سلطة الكلام** وأراد من الكلمات أن تقبل لعبة التّشكيل وتتجرّد من أنساقها الملزمة. **ويبدو أنّ اللّغة لم تستطع السّيطرة على الشّعر بما هو فعل لا يشير إلاّ إلى نفسه**. فهو يطوّع الكلمات لمقتضيات ناشئة في الكائن. إنّ السّؤال الّذي ألقاه نيتشه عمّن يتكلّم حينما نتكلّم أجاب عنه مالارمي بأنّ المتكلّم هو الكلمة حتّى في وضع عدمها أي اللاّمعنى. ولم ينقطع نيتشه عن إلقاء سؤاله وواصل مالارمي القول بامّحاء المتكلّم في الكلام. واعتبر المتكلّم منفّذا للكلام. **ربَ مسافة بين سؤال نيتشه وجواب مالارمي لم يحاول ملأ مسالكها المريبة غير خطاب مريب : هو الشّعر**.

لقد انفصل قانون الخطاب عن التّمثيل. فهل الكيان لم يع منذ آلاف القرون أنّه ينطق ويفصح وأنّ الكلام صورة من توهّجه ؟ نجد من المسائل، اليوم، ما يجعلنا نذهب كثيرا في الرّيبة من وضع المتكلّم في كلامه. فالمتكلّم، بما هو شاعر، مثلا، لا وجود له داخل خطابه، إنه متخارج معه. فساعة ينجزه تخفت المشكلة. لكن بعد إنجازه ما هو موضعه منه ؟ **لم تبق من منجز النّصّ غير آثار خفيّة مرتسمة على ما أنجز، لو كان هو المنجز حقّاً**.

وإنّ التّحوّلات العميقة في مقام المتكلّم تتمثل في كونه صار كائنا تجريبيّا. ولم تعد الأشياء من حوله ؛ لقد صار فيه، متمازجة معه. فالكلمات قد هجرت التّمثيل. وصارت إنتاجا ألصق بالكائن. والكلمات الموجودة قبل المتكلّم لا معنى لها إلاّ إذا صيّرها بعده، بمعنى له وتحت نفوذه. فلم يعد لها ثقل خاصّ عليه. لقد اكتشف الإنسان في الشّعر نُظُما رمزيّة تدفع كثافة الكلمات **وأبطل لغة مازالت منسوجة**

بأشياء وحاجات وتخييلات قديمة. فالحداثة بدأت حينما شرع الإنسان في الوجود داخل كيانه. فهو، وإن كان يدير لغة أقدم منه ؛ أقدم من جمجمته وهيكل أعضائه ونبض عروقه يبرهن عن قدرته على أن يسيطر على معانيها.

وقد تكون التّجربة الإنسانويّة الحديثة أمدّت الكيان بقدرات كبيرة على نحت نفسه خارج الخارطة القديمة لإنتاج المعنى.

وإنّ اللّغة قد أكسبت الكيان تاريخا خاصّا، على أنّ نقطة الارتكاز قد تغيّرت في تاريخ علاقة الكيان باللّغة من تمثيل الأشياء إلى تمثيل اللّغة لنفسها.[23] وقد صار الكيان تشكيلا وضعيّا. فالكيان، في صميم وجوده، له مساحات لم تدخلها اللّغة. وقد أراد الشّعراء ابتكار كلام يخترق شكل الكيان القائم.

كتابة تاريخ الكيان، اليوم، ستكون شديدة التّعقيد. فالتّأريخ للكيان ليس هو تاريخ الكيان. **وربّما أمكن للّغة، لأوّل مرّة في تاريخ الإنسان أن تضرب بحفريّاتها في أرض الكيان وتصنع له نظام خطاب.**

لقد أتانا الكيان متنكّرا في اللّغة. ولهذا التّنكّر مرتبتان : مرتبة الكيان ؛ بما هو منطقة مظلمة عصيّة على العبارة ومرتبة اللّغة ؛ بما هي قواعد وأنساق وأنظمة. وكانت اللّغة قادرة على أن تقبض على جانب من الكيان رغم ما ينشأ عن ذلك من تحريف الكيان. فاللّغة نظام عبارة مهيمن تماما على الكيان.

في هذا الفضاء حيث يتنازع التّمثيل والتّشكيل على اقتسام الدّلالة ينشأ المعنى وينبني. وإنّ مراجعة نقديّة – تأويليّة لوضع المعنى في الثّقافة العربيّة أمر يفرض نفسه بإلحاح ممّا يقتضي جهدا ضخما. فنحن مدعوّون إلى إلقاء أسئلة جديدة حول مبحث المعنى في اللّسانيّات والفلسفة. ففي اللّغة نوع من الضّبط والتّحديد بدونهما تسود الفوضى. وفي اللّغة طاقة خلاّقة، إنّها البلاغة، تَعْبُرُ الكيانَ وتنتج واقعة أخرى للعبارة ممّا يدعو إلى تفحّص عميق للنّسيج البلاغيّ في اللّسان العربيّ، ممّا سنضع له سياقه في الفصل الموالي.

(23) يرى يلمسلف أنّ المعنى يكون مفترضا سلفا، جوهرا قائما بذاته وأنّ التّشكّل يمنحه مظاهر مختلفة، وهكذا يفصل بين المعنى وتشكّله اللّسانيّ، يقول :«يبدو لي وجيها أنّ العلامة هي علامة على «شيء معيّن.» لكنّ هذا الشّيء يمكنه، بوجه ما، أن يعيش خارج العلامة.»

Voir **Prolégomènes à une théorie du langage**, éd de Minuit, 1968, pp. 75-76.

في صور الجمال و تشكّلاته بالبلاغة وتولّد انظمة الإمتاع وأبنيتها ومـاينـشأ عن ذلك من ظهور لطقوس الكتابة وتصاريفها.

إنّنا بإنجازنا هذه الأطروحة علمنا جملا من البراهين وقوانين بناء المخاطبات، إلاّ أنّنا فطنّا إلى أنّ ما نبلغه من التّحليل ليس إلاّ من عمل المفهوم وكفاءته التّفسيريّة. فالمفهوم يغالطنا من حيث نحسب أنّنا ظفرنا بأدوات منهجيّة ناجعة لدراسة التّراث الشّعريّ العربيّ، إذ المفهوم محمّل بحساسيّة صاحبه وذوقه ورؤيته للحياة وبأسئلة العصر والرّؤى المؤسّسة له. وعلينا أن نميّز بين الجمال وسياسة الجمال؛ بين الجمال قيمة نصيّة والجمال بنية تأويليّة. فدرس التّحوّلات الحادثة في طرائق انبناء المعنى وصياغته وإنتاجه يقتضي النّظر في اللّغة وهي تولّد أنظمة إمتاعها وتخترع لذائذها.

وإنّ التّأريخ لبلاغة المعنى الشّعريّ مدخل إلى فهم التّحوّلات العميقة في الإيحائيّة الشّعريّة.

«هذه لغة تحيّرت عقولهم فيها.»[1] وقضاياها أشياء تُحصّل بالكدّ والمطالبة والدّربة والمعاودة. فالنّقّاد قد شرحوا وأوضحوا وبيّنوا وصنّفوا واختلف النّاس وتجادلوا وقارعوا الرّأي بالرأي في هذه الأمور الّتي اشتبهت على علماء البلاغة ونقّاد المعاني. ويتطلّب تحصيلها وترتيب قضاياها جهدا طويلا.وقد حقّقنا في مجال النّزاع وما كان غرضنا أن نأتيَ على جميع ما قاله الشّعراء من المعاني المبتدعة. وإنّما أن نقيم تصوّرا مجرّدا عمّا قالوا.

وإنّ تقسيم الشّعراء إلى جاهليّ وإسلاميّ ومخضرم ومولّد ومحدث لا يستند إلى عوامل لغويّة أو بلاغيّة. فالنّقّاد لم يقسّموا الشّعر إلى مراحل. وإنّما قسّموا الشّعراء . فالتّقسيم والتّمييز عليهما أن يتعلّقا بجوهر الكتابة نفسها.

(1) العسكري، كتاب الصّناعتين 123.

و قد ظهرت دراسات اهتمّت بالمصطلح النّقديّ. لكنّها اتّجهت إلى الاهتمام بالشّعريّة لدى شاعر واحد. وهي لا تسمح بتبيّن التّحوّلات الّتي تحدث في تاريخ المعنى. وهي لم تتعقّب مختلف البنى المعنويّة في جماليّة الشّعر عند العرب. وفكّرنا في الأمر طويلا. فتبيّن لنا أنّ دراسة تاريخ المعنى في الشّعر تقتضي تقييم الأسئلة الكبرى في تاريخ البلاغة والذّوق عند العرب. فأنت - عند التّحقيق - لا تظفر بدرس بلاغيّ صارم يطلب انبناء المعنى وسياسته.

وإنّ الشّعريّة العربيّة - كسائر الشّعريّات - لها تاريخها الجماليّ الخاصّ، أي منظومة مخصوصة من الصّور والإيحاءات. ولكلّ شعريّة محنها وصعوباتها. فهناك عوامل تدفعنا إلى إعادة التّفكير في طرائق انبناء المعنى.

ولقد اشتغلنا زمنا طويلا برسم سياقات نظريّة للتّفكير في بلاغة العرب. واستخرجنا نصوصا كثيرة دالّة على القضايا البلاغيّة. لكنّنا أغفلنا رصيدا غزيرا من المفاهيم والمصطلحات لأن الكثير منّا لم ينتبه إلى ما تحويه نصوص الشّعر والأدب من أساليب انتهى علماء البلاغة إلى التّنظير لها والتّمثيل لمستوياتها. والبعض الآخر مكّنته قراءته من بعض الإشارات والتّنبيهات المبثوثة في أبواب وفصول مختلفة من مصنّفات البلاغة والنّقد والتّفسير والفلسفة وغيرها. لكنّه أدرك مشقّة استخراجها وتكوين مبحث عامّ يتقصّاها ويجمعها ويصنّفها ويبيّن كيفيّات اشتغالها في النّصوص.[2] ورغم جهود اللّسانيّين والسّيميائيّين والتّداوليّين المعاصرين في رصد حقول اهتمام توفر زادا نظريّا مهمّا، فإنّ المصطلح النّقديّ في التّراث البلاغيّ بقيَ من اهتمام المعجميّين الّذين يحاولون تقديم تعريفات كثيرا ما تحوي تعقيدات تؤدّي إلى الغموض أكثر ممّا تفسّر. وتتقارب في أذهانهم المفاهيم لتعقّد الظّاهرة حتّى عند البلاغيّين القدامى. فيفزعون إلى تفسيرات عامّة غير مجدية في مجال البحث الشّعريّ والأدبيّ.

---

(2) من الغريب أنّنا نجد محاولة جادّة من حيث عزم الباحث ورغبته في «كتابه تاريخ جديد للبلاغة العربيّة» لدى محمّد العمري في كتابه : الموازنات الصّوتيّة في الرّؤية البلاغيّة : نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربيّة، الدّار البيضاء : منشورات دراسات سال، ط 1 / 1991. وهو، رغم حرصه على وضع الرّسوم البيانيّة الّتي تتتبّع المصطلح تتبّعا تاريخيّا مدقّقا في مواضعه من النّصوص النّقديّة، فإنّه يسكت تماما عن نشأة المفهوم وكيفيّات عمله في النّصوص وتأويلاته للقيمة الأدبيّة. فالباحث، ههنا، يجمع مادّة ضخمة ويحسن تبويبها وينتهي إلى ضرب من التّشريع لمبحثه البلاغيّ. لكنّه يهمل طلب الأصول المتحكّمة في إنتاج المفهوم.

وهذه أمور اشتبهت على دارسي الشّعر. ويتطلّب تحصيلها وترتيب قضاياها جهدا طويلا. وهي أشياء تُحصّل بالكدّ والمطالبة وبالمجاهدة والمعاودة. و«الدّربة تريك الخبر عيانا» كما يقول ابن الأثير.[3] فقد اختلف النّاس. وصنّفوا الكتب. وتجادلوا. وقارعوا الرّأي بالرّأي. وها نحن نصنّف، في هذا الباب، كتابا. وسيصنّف النّاس من بعدنا. وكلّ عزمنا أن ننقل إليهم ما خبرناه.

وإنّ الباحث لكالعاشق يطلب ما لا يُنال ولا ينقطع عن الطّلب وكالفارس يُنفق منه العمرَ ابتغاء معنى يعتنقه. لكنّ حمل النّصال غير مباشرة القتال، كما يقول ابن الأثير.

ولهذه القضايا تفصيل طويل لم نتقصّه بالتّمثيل لكلّ وجه. واكتفينا غالبا بالإجمال دون التّفصيل وباللّمع الدّالّة على الجمل الشّارحة كما يقول القدامى. فالقوانين الكلّيّة هي مطلبنا لا إطالة الشّروح. لكن لمّا كان بعض هذا يحتاج إلى فصل الخطاب، فإنّنا تكلّفنا له ما تكلّفنا من رسوم بيانيّة وجداول إحصائيّة ومنحنيات وغيرها. ولم نمسك عن الخفايا والدّقائق رغم أنّ استقصاءها عسير جدّا. وإنّ قوانين شيء لا تُطلب إلاّ في هذا الشّيء ذاته لا في النّصوص الشّارحة له. فلا حكومة إلاّ للنّصّ.

وإنّ هذه الأطروحة مدخل إشكاليّ حاسم لبناء مقام نظريّ للسّؤال النّقديّ لا تمتلك مناهجنا إلى حدّ الآن خطّة وجيهة لسياسته وتدبيره.

وليس همّنا أن نعرف الجاحظ. وإنّما أن نفكّر معه في الأفق النّظريّ الّذي بناه وأن نصرّف أسئلتنا على تأويليّته وأن نصرّف أسئلته على تأويليّتنا. فالتّفكير مع الجاحظ، أي على أرضيّته النّظريّة شاقّ وعنيد. وإنّنا لا نكتشفه ونجعله ممكنا فينا إلاّ ببناء حساسيّة لاستكشافه. فكثير هم الّذين يدّعون معرفة الجاحظ دون المرور به. وكثير هم الّذين كتبوا. لكنّهم لم يلتقوا بأعماقهم أبدا.

---

(3) المثل السّائر ا : 82.

وإنّنا نذهب في درس تاريخ البلاغة لا من حيث هو درس بلاغيّ جماليّ، وإنّما من حيث هو الفضاء الإشكاليّ الّذي يعيش فينا. **فلقد أُنهكنا تماما من الإقامة خارج أنفسنا ومن الاغتراب في اللّغة. وضجّ منّا الكيان يطلب أن ينتقال خارج الإفضاء البلاغيّ الّذي رتّبه لنا النّحو والإعراب وفضاء المشابهة وتقنية الاستعارة** منذ الأطلال من حيث هي آخر أكبر حقل لإنتاج بلاغة القدم إلى بناء فضاء تشكيليّ جديد للعبارة عن الكيان. فالإنسان يحتاج الشّعر من حيث يحتاج الكائن الجنون والفراغ والقلق لينقال كما تقول المتصوّفة.

و قد نظرنا في التّحوّلات الشّكليّة والمعنويّة. فتبيّنت لنا أشياء. منها :

- المعنى في الشّعر القديم كان يتكوّن خارج القائل. فالمعنى ملك للثّقافة. وهو ليس شعريّا من حيث كونه ليس شكلا تنشئه حالة القول. ولذلك هو قابل للشّرح والتّحصيل لأنّه قد استقرّ وتأسّس.

- المعنى انبنى في فضاء عقديّ يؤمن بالسّبق والقدوة والمثال. ولذلك كان النّقّاد ينتصرون للقدم وهم يتحرّكون في آليّات ثقافة تضفي القداسة والمشروعيّة على الماضي.

- نزعة السّجال والاجتهاد والمناظرة والخلاف وحتّى الحرب باعتبارها الشّكل المادّي الأشدّ ضراوة من الصّراع، كلّ ذلك قوّى نزعة الاختلاف. فصار المعنى حاصل نظر وتدبّر لا رواية ونسخا ممّا كان له أثر في الشّعر وفي ظهور أشكال أخرى له.

- الحداثة لا عمر لها إلاّ ما تفتحه من احتمالات نصرّفها في الفضاء الّذي نتحرّك فيه. ولذلك كان المعنى ضربا من الانفتاح داخل لغة عاشت طويلا وهي مغلقة على معانيها.

وإنّ العلامة سمّت الأشياء. لكنّها لم تقدر على المحتمل فيها. فحياة اللّغة داخل الكائن حياة أخرى غير الّتي رتّبها الوضع. ففي المجاز يكون معنى منطوق المتكلّم غير المعنى الحرفيّ للجملة. والمجاز مع المولّدين صار خروجا للأشياء عن

أحكامها بعد مرحلة استقرار الأحكام على الأشياء. **فالمجاز هو تصريف الاحتمال التّخييليّ الأقصى ضدّ الحقيقة والوضع**. وأمّا المعنى الحديث، فقد انتقل من إحالة الألفاظ عن جهاتها إلى فضاء تشكيليّ وحتّى إلى الصّمت من حيث هو عبارة طليقة عن الكائن.[4]

وإنّ الأثر الّذي يحدثه فيك الشّعر لا يصير لديك إمكانيّة تأويليّة إلاّ بعد مداومة ومطاولة. ونحن لا نريد، في هذا المقام، بسط القول. وإنّما نقتصر على ما نظفر فيه بالطّريقة والمنهج. فقد سئل الشّافعي عن مسألة، فقال : «إنّني لأجد بيانها في قلبي. ولكنّ ليس ينطلق به لساني.»[5] **ومطلبنا، ههنا، هو انطلاق اللّسان بأمر بلاغة العرب. فإنّ بين اللّغة والشّيء تجارب تخييليّة ورمزيّة كثيرة. ومازال هذا الفضاء ممتلئا بما هو غير لغويّ وغير ممنهج وغير قابل للتّفكير والنّظر.**

وإنّ اللّغة تخرج، اليوم، من جمود المعجم لتعيش فيك. **فهل ما هو ذريعيّ يحدّد ما هو خطاب ؟ وهل ستنقطع الطّرازات الّتي تحكم إنتاج البلاغة فيك؟** إنّ المجاز من الاجتياز؛ اجتياز الوضع والبلاغة من البلوغ، أي الوصول والانتهاء. فقد «سُمّيَ الكلام بليغا، أي أنّه قد بلغ الأوصاف اللّفظيّة والمعنويّة.»[6] **فالبلاغة العربيّة بلاغة تخاطبيّة نشأت في فضاء شفويّ وصفيّ. ثمّ أثّر العمران وأستقرار أشكال الحضارة في استقرار أشكال العبارة.**

وما من علم تقول إنّه غامض إلاّ وعلم البلاغة أخفى وأدقّ. فنحن في عمل مجاله أن يعبّر عن شيء بعبارات شيء آخر وأن يبئّر أسلوبا في أسلوب آخر. لكنّ كيف يمكن للكيان أن ينقال ؟ هناك كيفيّات ورتب في النّظم وجهات للمعنى توجّه القول والعبارة.

وكيف يمكن للمتكلّم أن يورد ألفاظا تقول ما لم تقله في أصل وضعها. و«كيف نمرّ من المعنى الحرفيّ للتّعبير إلى المعنى المجازيّ للمنطوق.»[7]

---

(4) هناك طائفة دينيّة إسمها الأترابيّون Les trapistes جعلت الصّمت مذهبا لها في العبارة عن حاجات الكيان.

(5) القاضي الجرجاني، الوساطة 430.

(6) ابن الأثير، المثل السّائر I : 84.

ومن مصاعب هذا المبحث تحويل الكلام من ملك اللّغة إلى تصرّف القائل ومراقبة موضع الإنجاز الشّعريّ للكلام في نظريّة عامّة للمعنى.

إنّه لأمر شاقّ أن تقول شيئا وتقول اللغة شيئا آخر؛ إنّه إشكال في صميم المعرفة. فهل الألفاظ تحوي أكثر ممّا يحتسب الوضع والاصطلاح ؟

وإنّنا صدرنا في هذا الدّرس عن قراءة تاريخ اللّغة وصورها وبلاغاتها. فكيف يمكن للإحصاء والخطاطات والرّسوم البيانيّة أن تشرح اللاّمتناهي في الصّورة والإيقاع والمعنى وتضع له قواعد ومراتب ؟ لا يخدعنا الإحصاء ويوهمنا أنّنا نبحث في الإيقاع. فالإيقاع غير محدود. **وإنّما أردنا أن نمسك بمظهره البنيويّ مقدّمةً لبناء نظر حول تصوّر الإيقاع في الخطاب.**

وإنّ الشّارح القديم كان يطلب شيئا ماثلة أشكاله في النّصوص. وهذا منهاج لا يفيد متأوّل الشّعر اليوم. فنحن لا نطلب بالشّرح أن ندرك المعنى. وقد تبيّن لنا أنّ المعنى والصّورة والإيقاع من حيث هي مكوّنات شعريّة تتحرّك في فضاءات. ونبتغي من القراءة أن نصف هذه الفضاءات ونتفرّس تموّجاتها وحركاتها القصوى واشتغالها في شبكة معقّدة من المكوّنات. وإنّ أقصى تمثّل لمشكل القراءة هو في ردّ أفانين التّصوير إلى الأنواع البلاغيّة المتداولة.

وإنّنا نجد اليوم وصفا مجملا للشّعريّة. ورغم سنده التّوثيقيّ الهامّ، فإنّ سنده النّظريّ مازال ضعيفا. فقد كان البيت آهلا بالإيقاع والغرض، ممتلئا بالمعنى، وكانت الصّورة مفعمة بلاغة. **وللّغة أسرار تخفى على الشّعراء أنفسهم. وللشّعراء أسرار تخفى على اللّغة.**

وقد استخرجنا أربعة أشكال من الصّراع في اللّغة وحولها :

- من الاختلاق إلى الاختلاف :

إنّ التّحديث والحداثة بنيتان مختلفتان عن بنية القدم، إلاّ أنّ النّقّاد كانوا يسمّون الاختلاف اختلاقا والإبداع بدعة والتّحديث إحداثا بالمعنى العقديّ. وقد تحكّمت أصول البحث في الفقهيّات في تصوّر تطوّر الشّعر والوظائف المعلّقة به . وتجلّت نزعات الاختلاف القصوى في الشّعر حيث اللّغة تبني أشكال الاختلاف وتؤسّس لها.

- من التّشبيه إلى الاشتباه :

لقد كان الشّاعر يعرف مواقع التّشبيه ويعرف متى أصاب ومتى راغ عن الموضع. وكان للمشابهة أدوات وأركان. وكان النّقّاد يخطّؤون الشّعراء. فطوبولوجيا الخطاب التّقليديّ قامت على الانسجام. ولذلك كان التّشبيه ممكنا. وأمّا المعنى الحديث، فلا قرار له مادام النّصّ لا يستقيم له شكل. وفطّنتنا نظريّة أفعال الكلام إلى أنّ أفعال الكلام غير محصورة ولا نقدر على ضبطها وحصر أنماطها.

- من الحَمل إلى المحتمل.

كان اللّفظ يحمل المعنى بما هو خادم له يتكفّل بالعبارة عنه. وهو يحاول الإحاطة به والاشتمال عليه. ولم تكن المسافة بعيدة بين اللّفظ والمعنى وبين صورة المعنى وصورة الشّيء، إلاّ أنّ المعنى ضاق بهذا الأسر داخل اللّفظ وامتطى التّخييل لينفلت من سطوة المعنى. فجعل التّخييل المعنى في الشّعر – حيث تمارس اللّغة شبقها الأقصى – احتمالا تذهب إليه بشتّى التّأويلات. ويرجع ذلك إلى الاحتمالات الّتي تضجّ في القائل نفسه؛ هذه الاحتمالات الّتي وجدت تحقّقات قصوى في الرّسم والموسيقى؛ **إنّنا نشترك في الحامل. لكنّنا لا نشترك في المحتمل.**

- من البدعة إلى الإبداع.

كانت هذه الحضارة تقرأ الإبداع على أنّه بدعة وتعتبر البدعة ضلالة. وأنت لا تنشأ فيك إيقاعات ومعان وصور إلاّ حيث يكون الشّعر بابا لـ« الشّرّ». وإلاّ فأنت تعيد إنتاج أشكال سابقة عليك وتكرّر صيغا متعارفة. **وربّما لم يكن المعنى قادرا على أن يكون إبداعا إلاّ بأن يذهب في جهة البدعة وأن يخترق محرّماتها وموانعها!**

وإنّنا، لمّا رأينا زهد القوم في معناهم وتهافته عندهم، رأينا أن نتكلّم في المعنى، لا لشرح أصوله والوقوف على مراتبه وتبيان منطقه وأشكاله. وإنّما المقصد الّذي نطلب هو سياسة المعنى وولوج مسالكه والذّهاب في طرقه.

هذه حضارة ناظرت وجادلت وخاصمت وحاربت واستقرّت علومها بالدّلائل القاطعة والبراهين السّاطعة كما يقول ابن الأنباري. فماذا بقي لها من حاجة في أفقها المعرفيّ والجماليّ ؟

إنّ النّصوص الّتي اشتغلنا عليها ذهبت بعيدا في بناء الحكمة وذهبت بعيدا في الشّبق والجنون واستقرّت فيها الأشكال وانهارت وتَعاوَدَ فيها الاستقرار والانهيار. وإنّ من الشّعر لحكمة. وإنّ من الشّعر لجنونا. **ويعسر أن تسوس كلاما قد غرمت به غراما**. أأدفع عن نفسي الفتنة لأجد المفهوم أم أقتطفه من مقام الفتنة نفسه؟

إنّ المجاز في أصله قيمة شعريّة جماليّة. ثمّ يحوّل النّقد علاقته بالحقيقة إلى رهان سلطويّ يرسّخ هيمنة الحقيقة على التّواصل.

وإنّ النّقد القديم قد تفطّن إلى حركة البلاغة. فقد ذكر ابن جنّيّ أنّ «المجاز إذا كثر أُلحق بالحقيقة.»[8] وذكر ابن سينا أنّ كثيرا من المجازات صارت حقيقة. يقول: «هذه الاستعارات والمجازات قد صارت، لفرط الشّهرة، كأنّها غير استعارات.»[9] فاللّغة، على ما يقول الجاحظ، «تحوّل الأشياء عن مقادير صورها وتربو بها عن حقائق أقدارها.»[10] لكن هل من باب لقول الكيان سوى «سَوْم اللّغة ما ليس في طاقتها والنّفوس ما ليس في جبلّتها»؟[11] فاللّغة تقول ما رسخ. والبلاغة تمكّننا من إنتاج أشياء جديدة. **فربّما كان الشّعر مجالا لم يجد بعد ترجمة مفهوميّة. وربّما كان المفهوم شكلا ممتنعا عن العبارة الشّعريّة !**

و«إنّ العرب تعتقد أنّ في الإنسان معنى كامنا فيه كأنّه حقيقته ومحصوله. فيخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرّدا من الإنسان كأنّه غيره. وهو هو بنفسه.»[12] فهذا القول الّذي عبّر عن ثقافة فارس يردّ على قول الجاحظ بأنّ المعاني قائمة في صدور النّاس.[13] وهو قول وجد صداه في نصوص عبد القاهر الجرجاني في قوله بأنّ «القلوب مقفلة على ودائعها.»[14] وإنّ المجاز إحالة للألفاظ عن جهاتها «ونحن في زمان هو على ما هو عليه من إحالة الأمور عن جهاتها.»[15]

---

(8) الخصائص 2 : 447.

(9) الخطابة 207.

(10) البيان والتّبيين 1 : 254.

(11) الحيوان 6 : 8.

(12) أبو علي الفارسي، الإيضاح 1 : 409.

(13) البيان والتّبيين 1 : 71.

(14) الدّلائل 182.

(15) الأسرار 118.

ومن أهمّ نتائج هذا البحث أنّ البلاغة ضرب من النّحو، فالبلاغة المنجزة في النّصوص، أو في الخطاب بعبارة أدق، هي جملة من الأنساق المجرّدة القائمة على تكرار البنية، إذ البلاغة تقع في مستويات مختلفة من الأبنية الصّوتيّة والصّرفيّة والإعرابيّة والدّلاليّة. فالعلاقات الإعرابيّة تكيّف بناء الجملة بلاغيّا. وللبلاغة صورة نظريّة مجرّدة، بما هي شكل نحويّ يبني الخصائص التّركيبيّة والمقوليّة. والبلاغة تُنجز في هيئات مختلفة. لكنّها محكومة بسلطة النّظام النّحويّ. وإنّ البلاغة القديمة هي بلاغة النّحو. فاللّغة عاشت بين مقوليّة النّحو وتخييليّة البلاغة. وإنّ وصف النّصوص واستقراء خصائصها يوقفنا على أنّ أكثر البلاغة من عمل النّسق. فنحن لا نقول أنفسنا إلاّ باللّغة. وإعادة تشكيل اللّغة يقتضي إعادة تشكيل المدرَكات. وإنّ للقصيدة منشئين : شاعر مهووس بوجعه وألوهيّته، يقول ذاته باللّغة ولغة مرتدّة عن وضعها واصطلاحها تقول ذاتها وقد لا تقول الشّاعر.

وإنّ المقولات النّحويّة والدّلاليّة المجرّدة تظهر في قول الشّعر حيث تمارس الأبنية ضربا من الاسترسال والانتظام. فنحو النّصوص يولّد الأبنية المتماثلة. ولذلك كان للتّشبيه والاستعارة أركان. فخصائص نظم الكلم في الجمل يؤثّر في نظم التّخييل في الجمل النّحويّة، بمعنى أنّ التّخييل لا يتأتّى إلاّ ضمن شجاعة لغة، أي ممكنها المعجميّ والتّركيبيّ والدّلاليّ. وهكذا، فإنّ المقولات النّحويّة الكلّيّة تكوّن المعاني النّحويّة الوظيفيّة المنجزة. وتبني المقولات المنطقيّة المجرّدة الوجوه البلاغيّة المتحقّقة، بما هي صورة من النّظام.[16]

(16) لقد ضجّ الرّسم والموسيقى والشّعر من سطوة النّظام وسلطة النّسق. وربّما عبّرت الفنون التّشكيليّة عن هذا الضّيق، ولو أنّ الرّسم نفسه – رغم أنّه حركة جارفة حارقة – انبنى في فضاء له نحو وعروض. لكن ليس للفتنة والعجيب نحوٌ .

وإنّ النّواة الإعرابيّة بنت نواة بلاغيّة. فطرائق انبناء المعنى غير ممكنة إلاّ في الفضاء الإعرابيّ. وقولنا بأنّ بلاغة القدم هي بلاغة البيان وبلاغة الإفهام وبلاغة المتوقّع يعني أنّ المحتمل محاصر بالنّظم والإعراب والعمل النّحويّ. وإنّ بلاغة هذا شأنها تجعل البعد التّصويريّ بما هو حرقة الكيان ونزعة الكائن إلى العبارة عمّا يضجّ فيه محكوما بمقولات كلّيّة عامّة تتحقّق بعض أشكالها، ممّا يقتضي درس البلاغة والشّعريّة في ثقافة العرب. فالعامل والمعمول يُنشئان قالبا. والصّورة تأتي في قوانين هذا القالب. وإنّ الصّورة الّتي كانت تقطر دما قبل أن تلاقي اللّغة سكّنت لها اللّغة جراحها وخفّتت صوت الكيان وأقحمته في ما عُبّر عنه مادامت الألفاظ سابقة على الحالات. حتّى إنْ بقيَ للشّاعر التّصريف النّظميّ فإنّه لا يكفيه لتصريف كيانه. فكثير من الصّور قالتها اللّغة ولم يقلها المتكلّم. وإنّ بلاغة اللّغة غير بلاغة المتكلّم وبلاغة الشّعر غير بلاغة الشّاعر.

معنى المتكلّم غير معنى الكلام. فبأيّ وجه يكون الكلام للمتكلّم طبقا ووفقا ؟ وبأيّ معنى تُساوي اللّغة كيان قائلها ؟ إنّنا إزاء لغة خائنة خوّانة. ما الإعراب فيها سوى حركات أواخر الكلم دون الحركات العميقة في كيان القائل. وقد لا يعنينا منها سوى الكسر دون الانتباه إلى انكسار المتكلّم. فالكيان أكبر من اللّغة والكيان أكبر من البرهان وأكبر من البلاغة وأكبر من المعنى. وربّما لا يعني النّاس من الإعراب أنّه قول ما بالنّفس وما الحركات سوى جهات لقول المعنى وعلامات دالاّت على ما اعتمل في النّفوس. فقد عطّل إعراب النّحو إعراب المتكلّم.[17]

وإنّنا نعلم – في هذا المقام الصّعب – أنّ «الفطام عن الاعتقاد شديد» كما يقول الغزالي. فربّما كنّا – بشكل جائر – نلجأ إلى اللّغة لأنّ الصّمت لم يقلنا وإلى العقل لأنّ الجنون لم يسعفنا. فأين يقع دور المتكلّم في الاعراب ؟ لقد غمرته مقولات النّحو ومنطقه رغم ما يراه تشومسكي في ما سمّاه الملكة اللّسانيّة والنّحو الكلّيّ الّذي يبتغي له تحقّقا في اللّغات والأنحاء.

---

(17) راجع صدى هذه الأفكار لدى سيبويه، الكتاب، وابن جنّيّ، الخصائص والرّضي الاستراباذي، شرح الكافية (لابن الحاجب(593 هـ – 630 هـ = 1197م – 1233م)) تحقيق محمّد نور الحسن ومحمّد الزّفزاف ومحمّد محيي الدّين عبد الحميد، بيروت : دار الكتب العلميّة 1982. وابن السّرّاج، الأصول في النّحو، تحقيق عبد الحسن الفتلي، بغداد : طبعة الأعظمي، 1973. وانظر ما أتاه بالمسلاف وتشومسكي، وهاريس، وفيلمور، وما انتهت اليه

إنّ **النّحو العربيّ نحو إعرابيّ أصلا**. وهو يستند إلى سند عامليّ. فالمتكلّم لا ينجز الصّيغ. إنّ ما ينشأ فيه يقايض به اللّغة بعض صورها، على أنّ اللّغة بخيلة - والجاحظ يعرف ذلك أكثر منّا - فهي تضنّ على قائلها، أو ربّما جادت اللّغة بما عندها لمتكلّمين يسومونّها ما ليس في طاقتها. وإنّ من يطلب من لغة أن تقوله وتكون عبارة عنه يعلم أنّها لا تفي بما يريد الكيان. فيطوّعه لها. قل لو أننا نهشنا لحمنا مقابل أن تقولنا اللّغة لفعلنا. فبكاء المقهور لغة أكبر من اللّغة. فاعطني نحوا يقول الكيان ويتفرّس مواجعه. لقد قهرتنا اللّغة لمّا تعطّلت مقولاتها أمام قوّة الكيان.

و«لا خير في كلام لا يعبّر عن معناك»[18] كما يقول الجاحظ. **لكن ما هو معنايَ، أهو معنى نحويّ مقوليّ وشكل إعرابيّ عامليّ ؟ إنّ العامل الأصليّ هو المتكلّم، محدث الكلام. لكن الكلام تحدثه معنا القوانين المتحكّمة في إنتاج الأبنية والتّصاريف والأعاريب.**

ولقد صرنا نتحدّث عن إنجاز للمقولات الدّلاليّة النّحوية. **فهل الدّلالة ممكنة خارج النّحو ؟** إذا ما توغّلنا في التّجريد ضاعت نفوسنا عنّا وإذا ما ذهبنا في التّجريب انسابت الأمور علينا. وإنّ ما انتهى إليه النّحاة من مقولات دلاليّة - نحويّة من زمانيّة ومكانيّة وكمّيّة وسببيّة لا تفي بحاجات الكيان. ففي معنى المتكلّم المبالغة. وفي صيغ اللّغة صيغة أفعل للتّفضيل والمبالغة.

وإنّ العربيّة لغة اشتقاقيّة[19] لها كثير من تصاريف الصّيغ مثل إسم الفاعل وإسم المفعول والمصدر وغيرها. والتّصريف قد طاوع العروض ممّا لا نجد له هذا الثّراء في تصريف لغات غير اشتقاقيّة وفي أنحاء أخرى. فالنّسق الصّيغيّ الصّرفيّ في العربيّة أفاد الشّعر والشّاعر. وبه نفسّر ما انتهى إليه الشّعراء من ابتكار المعاني في اللّسان العربيّ. فمبادئ الاشتقاق أتاحت للإعراب ممكنا خلاّقا، على ألاّ نفهم من

---

(18) **البيان والتّبيين** 1 : 218. ويروي الجاحظ حادثة غريبة عن رجل ضلّ طريقه. وغشيه الظّلام. فلم يستبنْ له سبيلا. ولم يجد له من مخرج سوى أن ينبح حتّى تجاويه الكلاب. فيميّز له مسلكا إلى قومه أو حتّى إلى أعدائه. ولم يزل كذلك حتّى نجا. لكنّه ضلّ ينبح. ونسيَ لغته. فقد تواصل بالنّباح لأنّه في تلك الحال حاجة أفضل من اللّغة، إذ اضطرّ ليتواصل مع الحيوان، **الحيوان** 1 : 379.

(19) راجع ابن دريد الأزدي، **كتاب الاشتقاق**، تحقيق وشرح عبد السّلام محمّد هارون، بيروت : دار الجيل، 1991.

عبارة خلاّق ضربا من التّصريف الّذي لا يضايقه شيء. وإنّما اقتضى مقام بيان شأن الاشتقاق تفرّس سعة اللّغة رغم ما هي محكومة به من تكرّر الصّيغ في إنجاز المخاطبات وما فيها من أدوار في المستوى التّركيبيّ - الإعرابيّ - الوظيفيّ محكومة بمقولات مجرّدة صارمة.

إنّ التّصوير والتّخييل لا يتحقّقان إلاّ في محلاّت إعراب ووظائف. فكيف نعبّر ونغادر المحلّ الّذي دبّره لنا النّحو تدبيرا. فإذا أردت العبارة عن الفاعليّة، مثلا، انفتحت أمامك - قليلا أو كثيرا - محلاّت الفاعليّة من فاعل ونائب فاعل ومبتدإ وخبر.[20]

وإنّ كلّ تركيبة إسناديّة إنّما هي تقتضي العمل بما هو شكل نحويّ ينشئ العلاقات النّظميّة - السّياقيّة. وإنّنا نجد أبنية لغويّة متماثلة قد تراكبت فيها المعاني الصّيغيّة والمعاني الوظيفيّة.

وإنّ النّظام اللّغويّ، في توليد الأشكال، يقوم على بنية تكراريّة، بما هي شكل مجرّد يمثّل منوالا لإنجاز الصّيغ. **فنحن، في كلّ الحالات، إزاء انتظام وظائفيّ، ليس الوجه المنجز فيه سوى ضرب من النّسق الصّوريّ**.[21]

وإنّ طرائق الاشتقاق والوحدات النّحويّة والوظيفيّة بنت صورا مختلفة تنجز في إطار نسق محدّد سلفا لبناء المعنى هو نسق الجملة المجرّدة بمحلاّتها من فعل وفاعل وابتداء وخبريّة ومفعول مطلق وبه ومعه وفيه ولأجله وتمييز ونعت وبدل وتوكيد واستثناء وحصر. وإنّ طرائق بناء المعنى عليها أن تراعيَ هذا الانتظام في ترتيب الوحدات الوظيفيّة في الجملة والخطاب ممّا بنى له اللّسانيّون التّحويليّون التّوليديّون نظامه النّظريّ فيما يطلق عليه النّحو المقوليّ. فالنّظام النّحويّ أشكال صوريّة مجرّدة، بما هي أبنية نحويّة مقوليّة فيها تتكرّر المعاني لأنّ المعنى، في

(20) محلّ نائب الفاعل مثلا يثير مسائل نظريّة ومنهجيّة شائكة فقد كان في الأصل في محلّ المفعوليّة. وانتقل إلى محلّ الفاعليّة فاخذ الرّفع من المحلّ. وصار الفعل مبنيّا لمجهول. فنقص محلّ الفاعليّة. ولمّا بقي شاغرا انتقل إليه المفعول. وبقي محلّ المفعوليّة شاغرا. وإنّ هذه النّيابة عن الفاعل تدعو إلى إعادة قراءة النّسق الصّوري للنّحو العربيّ.

(21) عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، نماذج تركيبيّة ودلاليّة، الدار البيضاء: دار توبقال، ط 2 / 1988.

الأصل تبع للأساس المقوليّ. فالمعنى من عنى العاني. **والعاني لا يعني إلاّ ضمن أشكال مقوليّة إعرابيّة في ذهنه مناويلها المجرّدة وفي عبارته أشكالها المنجزة.** فهو يتحكّم في مناويل العلاقات الإعرابيّة الّتي وُضعت أصول نحوها بحسب لسان وإعراب إعراب.

وإنّ المعنى مقولات صوريّة في وجه وتشكلاّت منجزة في وجه. وإنّما لا ينجز المتكلّم علائق وظيفيّة إعرابيّة إلاّ داخل ما هو صوريّ مجرّد. فهل الدّلائليّة معطى نحوي ؟

إنّنا لا نولّد معنى إلاّ بقدر الاستجابة إلى النّظام. فالشّكل النّحويّ سابق على عبارتنا، إذ الشّكل شبكة من السّمات السّابقة على تشكيل خطاب. لكن، رغم هذه المناويل الملزمة للمتكلّم، فإنّه يصوغ نصّاً له أنظمة رمزيّة تتحدّى الصّبغة المقوليّة لتنجز خطابا له تاريخه الدّلائليّ المخصوص. فالمعنى يصارع ما أُنجز ضمن مقولات الإعراب. ورغم أنّ المعنى شكل مقوليّ نحويّ. فإنّه يولّد أشكالا لم يحتسب النّسق الصّوريّ سعتها التّصويريّة والرّمزيّة. **فالخطاب انسجام مقوليّ وانسجام دلائليّ معا.**

هل البعد المقوليّ يلزم على تصميم مسبّق للدّلالة، بما هو اشتغال بنيويّ تكراريّ ؟ وماذا لو لم تكن هناك هندسة مقوليّة إعرابيّة سابقة على التّشكيل ؟ هل نجد دلائليّة مجرّدة منفكّة عن تشكّلاتها النّصيّة المنجزة ؟

إنّنا أمام منجز نصّيّ وفير لم يفكّر النّاس بَعْدُ في سنده الصّوريّ ولم يتبيّنوا أشكال تكرار بناء المقولات ساعة نتصوّر أنّنا نبني دلائليّة. فالمقولات تتكرّر. لكن ربّما كان هذا التّكرار حالة مؤقّتة للدّلائليّة حتّى تخرج عمّا سُطّر لها من وظائف الإعراب.[22]

وينبغي لدارس الشّعريّة العربيّة أن يقوم بتفحّص دقيق لبناء المسارات الّتي كان يمكن أن تُنتج شعريّة أخرى مختلفة عن هذه الشّعريّة الّتي حكمتها دلائليّة نشأت عن المقولات الصّوتيّة. **فهل في طاقتنا قول يتحرّر من قوانين الخطاب الّتي تُحدثه**

(22) نجد التّجلّيات القصوى لذلك في التّوزيع الفضائيّ للنّصّ الشّعريّ الحديث. وانظر مثالا للحركات العميقة الّتي يضجّ بها الكيان. فلا تجد لها لغة، قصيدة : القصيدة لمعين بسيسو، مجلّة الثّورة الفلسطينيّة، 1984.

بمجرّد انتهائه ؟ إنّ المقولات ثابتة وتتعاقب عليها المعاني. فالمجاز جملة من الأشكال الاحتماليّة. لكنّها أشكال لا تخرج عن المناويل.

ولقد رسّخ النّقد هيمنة الحقيقة على التّواصل. وقد استحدث أبو سليمان المنطقيّ (...- نحو 380 هـ = ... - نحو 990 م) نوعا من البلاغة سمّاه «بلاغة التّأويل». لكنّه انهزم أمام «صحّة التّأليف» الّتي نادى بها الآمدي، غير أنّ الرّمّاني يذكر أنّ دلالة التّأليف ليس لها نهاية. ونهاية الجودة فكرة نظريّة وضعها قدامة بن جعفر كاحتمال أقصى لبناء المعنى. وهذه كلّها عناصر هامّة في **التّناظر حول المعنى وتشكيله.**

وإنّ اللّغة مثقلة بما قالته. فالشّاعر لا يجد اللّغة فارغة حتّى يفرغ فيها كيانه. وإنّ تكرار المقولات والصّيغ هو ما كوّن تشابها في بلاغة الشّعر وقول المعنى.

ما هو الشّعر ؟ ما هي طرائق انبنائه ؟ إنّ السّؤال يبدو واحدا على لسان الجرجاني وعلى لسان ياكبسون. لكنّ المقام غير المقام؛ لقد تغيّر السّائل. فتغيّرت استراتيجيا السّؤال. فالسّؤال نفسه في عبارته لا يُلقى بالطّريقة نفسها في عصرين مختلفين وثقافتين مختلفتين. **إنّنا في حركة نقديّة مازالت تجهد لاكتساب مقام نظريّ لقضاياها. فإلقاء سؤال بهذا الحجم عن طرائق انبناء المعنى مازال ممتنعا عن الدّارس من فرط دقّته وبسبب كوننا لم نبن له سياقه بعد.** فهذا السّؤال يقتضي تطوّرا في مباحث الإنسانيّات. لكنّ القارئ ينتظر إجابة وصفيّة ولا يتقن تلقّي إمكان لإجابة تأويليّة . فالجاحظ والآمدي والجرجاني وبارط وسورل وميشونيك لن يستطيعوا لنا شيئا ما لم نرسم بدقّة مقامنا التّأويليّ. وإنّ اشتغالنا على المجرّدات والمفاهيم أمر لم نشرع فيه بعد. وعلينا أن نقطع مسارا طويلا. **فالمصطلح ليس إلاّ الصّفة أو الهيئة الأخيرة للتّفكير. ولا تغالطنا نسقيّة المصطلح. فهو ليس إلاّ أحد احتمالات النّظر.** ولقد ظلّ الشّعر - هذا المجال الأشدّ إرباكا لمن أراد أن يفكّر-أو لمن دعته حاجة إلى ذلك - موحشا عسير التّحصيل.

وإنّنا نشير إلى هذا الأفق الجذريّ للنّظر؛ هذا الأفق الذي لم يصبح بعد إمكانا تأويليّا. وإنّ اختراع مقام بكلّ هواجسه وحساسيّاته ورؤاه وأنساقه ونصوصه سيبقى إشكالا مفتوحا لأجيال أخرى من الباحثين.

إنّ الثّقافة العربيّة الحديثة لم تعلن موت البلاغة[23] باعتباره الحدث الأكثر تمثيلا لثورة اللّغة الشّعريّة عندنا. ويبدو أنّنا لا نكابد «الكتابة والاختلاف» ولم نشعر بمظاهر جدّيّة في كتاباتنا **ولم نحسّ بعدُ، بشكل كلّيّ، بأنّ كتاباتنا صارت محلاّ لثورة شكليّة ولغويّة تعيد التّأسيس وصياغة القواعد.**

إنّ هذا الضّرب من الاستشكال يشعرنا بأنّنا نلقي أسئلة شعريّتنا بطريقة سيّئة. فنحن لم نضطلع بعدُ بما يحمله هذا المجال من إمكانات بحث ثريّة. ما هي الموانع الّتي تقف دون أن نمتلك الحقل الإشكاليّ الّذي نفكر فيه وبه ؟ في النّصوص ثورة شكليّة كبيرة وفي النّظر النّقديّ عجز عن المواكبة ونقص في أدوات القراءة. هل لم نحوّل إبداعنا بعدُ - بشكل نظريّ - إلى نظام مفهوميّ ؟

إنّ تأويليّتنا مازالت تكابد ضربا من طغيان الأشكال الماضية بكلّ مخزونها من الرّغائب والحاجات. وإنّنا نرى في المعاني والأشكال والبلاغات الحادثة نوع الرّغبة والحلم والحاجة الّتي تحرّك كياننا. ولذلك تجد إعراضا سلبيّا ساذجا عن نصوص قد تشكّلت على مناخٍ جديدة. فالشّكل ليس خيار كتابة ؛ **إنّه الصّورة النّاطقة عن قلق الكائن.** ولقد تفشّى عندنا ضرب من السّخرية من أشكال كتابة جديدة مثل قصيدة النّثر أو الشّعر التّشكيليّ واعتبار ذلك ظاهرة سلبيّة في الكتابة الشّعريّة الحديثة. إنّ آفاق القراءة والحاجات الّتي تحرّكها قد تغيّرت. وإنّه من المحرج أن نعيش على إيقاع أنظمة كتابة جديدة ونبقى نرى الشّعر كلاما موزونا وشفويّا ومنتظما في أبيات. إنّنا نأخذ الأمر مأخذ الجدّ **ونعتبر التّحوّلات الشّكليّة مظاهر لحركة عميقة في كتابتنا، علينا أن نتدبّرها ونعيد بناء التّأويلات حولها.**

إنّ الأمر يتعلّق بإنتاج الدّلالة في الثّقافة العربيّة. وعلينا أن نفرّق بين بلاغة الخطاب وبلاغة اللّفظ، أي بين إنتاج البلاغة بناء على الخطاب وأثر البلاغة في اللّفظ المفرد. وفي هذا المستوى نناقش مسألة تحديث المعنى.

(23) لا نجد عندنا فصلا بعنوان Le declin de la rhétorique، أفول البلاغة.

Voir Paul RICŒUR, **La Métaphore vive**, éd du Seuil, 1975, pp. et 5ème partie : La métaphore et la nouvelle rhétorique, p 318.

وعلينا أن نلغيَ كثيرا من الأطروحات حول المعنى وأن نطرّح ما أشاعته بين المشتغلين باللّغة، هذه الأطروحات الّتي لم تضع في اعتبارها أنّ إنتاج المعنى صورة للكائن.

المجاز هو في أن نأخذ شيئا على أنّه شيء آخر. وليس مجرّد محسّن أسلوبيّ، إنّه لعبة في صميم اللّغة. فالبلاغة طريقة لاستكشاف طاقات الكائن وإمكانات اللّغة. فما هو موضع المعجم من البلاغة ؟ إنّ البلاغة تشكّل كلاميّ نحويّ. والكلمات تخلع عنها معاني المعجم حتّى تتعايش في السّياق. فالمرور من المعجم إلى البلاغة يثير إشكالا كبيرا في مستوى تشكيل الخطاب البلاغيّ. ففي طاقة الكلمة أن تقول أكثر ممّا سطّر لها المعجم. وفي مستطاع التّركيب أن يقول أكثر ممّا تقول الكلمات. والمعاني البلاغيّة معان نحويّة تركيبيّة. فليست البلاغة من أصل المعجم. وبلاغة الكلام **إنّما تتأتّى من تأليفاته وضروب تعالقه لا من وضع الكلمات وقيمها** التّعيينيّة والتّمثيليّة. لكن ما هي حدود البلاغة في الخطاب ؛ بمعنى ما هو الحدّ الّذي تحتمله البلاغة ممّا يؤلّف الوجوه الحسنة في الاستعمال ؟

ينشئ المتكلّم بلاغته دون الاستناد إلى منوال. لكن ليس معنى ذلك أنّ الكلام البليغ ينجز خارج المناويل، وعلى الأقلّ المنوال النّحويّ. لكن هل المعنى نحويّ بالكلّ كما يقول الفلاسفة ؟ هناك دلالة تركيب. لكنّها ليست الدّلالة الوحيدة، إذ نجد أبعادا تخييليّة تجعل الأشكال التّركيبيّة تتشابه والمعاني تختلف. فمثلا، اشتعل الرّأس شيبا[24] وانفجر القلب حزنا جملتان متماثلتان، إنّما بلاغة الجملة الأولى أرفع بدرجات من بلاغة الجملة الثّانية والحقول الايحائيّة أوسع وأكثر إيحاء.

ولقد حوصرت البلاغة العربيّة بنظريّة الفصاحة. فالفصاحة والبلاغة يتنازعان على نفوذ الكلمة ونفوذ السّياق على العبارة.

وإنّ البلاغة هي وضع الألفاظ في مقامات غريبة عنها. ومتى وضعت اللّفظ في غير مقامه اكتسب من موضعه أبعادا معنويّة جديدة.

(24) مريم 19 : 4.

ولْنَرَ كم أنّه ثريّ مجال البلاغة ؛ إنّنا نشتغل على مخطّط دلائليّ آخر غير المخطّط اللّسانيّ. والبلاغة غير ممكنة في حضارة لم يتمكّن فيها الاصطلاح تمكّنا. وإنّ البلاغة من فعل الكلام. والكلام صورة من تجربة الكائن ووجه ممّا يتخلّج فيه. ولذلك فإنّ إحداث صورة بلاغيّة أمر يهمّ تاريخ الإنسان من جهة كون الإنسان يتطوّر من حيث يلاحق لغته ومن حيث تكون هذه اللّغة سبيله إلى تطوير أسباب وجوده. والبلاغة تشتغل على السّياق وعلى العلاقات بين الألفاظ. **فما هو الحدّ الّذي تقف عنده اللّغة لتبدأ البلاغة ؟** إن أوّل حدّ هو حدّ توزيعيّ، إذ المجاز لا وجود له خارج الجملة والخطاب. فليس هناك أشكال رمزيّة هي على ملك الألفاظ. وليست بلاغة اللّفظ سوى اشتغال على الألفاظ منزوعة من التّوزيع دون أن تفقد صلتها به.

وإنّ التّفكير في المزايا النّاشئة عن البلاغة يوقفنا على نسخ البلاغة لدلالة الألفاظ وعدم الاعتداد بها في تركيب السّياق. **وإنّ وجوه المزيّة تبع لطرائق بناء المعنى. فالمعنى بنية لامتناهية تعبّر عنها بنية متناهية، هي بنية الألفاظ.**

وإنّ محنة البلاغة في كونها قولا منقطعا عن دلالات الألفاظ. لكنّه لا يشتغل بمعزل عن هذه الدّلالات. وعلى هذا الأساس ظهرت فكرة الغرابة باعتبارها فكرة مغرية لتفسير مأتى البلاغة إلاّ أنّ المقاييس لم تسعف القدامى وهم يشتغلون على أمر المزيّة. فشعب البلاغات تعقّبٌ لعيون الكلام ووقوع على فرائده. لكنّ هذا الأمر يُدرس من حيث هو شكل دون الالتفات إلى مرحلة التّشكّل والإنتاج والظّهور والتّعمل له. وتبقى، مع ذلك، أسباب حدوث الفعل البلاغيّ مجهولة وطرقه مقطوعة. فطرق بناء الأقوال وصياغتها يمكن ملاحظة المنجز منها ولا يتيسّر مراقبة ما لم يولد بعد. وهذا أمر نردّه إلى لانهائيّة التّعليق. فالكلام لا ينفذ ولا يُحدّ ولا يستجيب للقواعد والضّبط. وليس لنا إلاّ الوقوف على وجوه البلاغات وصنوف المجازات. وإنّ الدّراية بما أُنجز من محاسن الكلام وتصاريفه ومذاهبه ومعرفة طرق المتكلّمين وسنن العرب في كلامها يكوّن ضربا من الفطنة والحذق في الصّناعة وطرق البلاغة ووجوهها.

وإنّ قراءة تاريخ البلاغة العربيّة تضع أمام الدّارس شبكة معقّدة متداخلة بين اللّغويّ والعقديّ وتمتدّ على مسافة بين البيان والإعجاز وبين بلاغة الصّمت

والإحالة. فنظريّة الخطاب البلاغيّ في الثّقافة العربيّة لا تقتصر على إدراك مقادير الكلام من البلاغة وتفاضله. **وإجراء الكلام طلبا للبلاغة ليس إلاّ الوجه العمليّ من حركة عميقة داخليّة منغرسة في الكائن**. ويمكن العلم بطرق تصريف الكلام. لكن كيف لنا العلم بما هو كامن في الذّات ينقدح منها ليستويَ خطابا.

إنّنا نريد – مع وعينا بأهوال السّبيل – أن نضع بوادر لإمكانيّة تأسيس منطق ومجال إجرائيّ ثريّ واسع لنظريّة التّشكّل في البلاغة العربيّة وننزع عنّا المظهر البنيويّ في تناول بلاغة العرب في حرصه على التّرتيب والطّبقات وبحثه في الأساليب والكيفيّات واستخراجه القواعد والمناويل. **ونحن نريد أن نغيّر أفق النّظر من أشكال المعنى إلى تشكّلاته البلاغيّة. والتّشكّلات لا تحدث بأفراد الكلام. وإنّما بتضامّه**. فالكلمة لا تُعتبر في حدّ ذاتها بليغة. وإنّما تكون كذلك بإعرابها وموضعها وتأليفها. **فالبلاغة تظهر في جهة مّا من التّأليف.**

وإنّ المنزع إلى حصر البلاغة في جملة من القوانين والضّوابط غير ممكن منهجيّا. **فتولّد البلاغة في الكلام لا تحيط به النّظريّة البلاغيّة**. إنّ البلاغة لا تتأتّى ولو تجمّعت ألفاظ وقواعد تركيب ومعان. وإنّ ظهور الأحكام ينشأ عن حدوث الإعراب والمحلّ والعمل والقصد. فالكلمة الواحدة لا إعراب لها. والكلمة في المعجم ليست الكلمة في الجملة. فالبلاغة ليست من أصل اللّغة. وإنّما من تجاريب المتكلّمين بها. **إنّ البلاغة متعلّقة بالكلام لا بالكلمة.**

وقد تتوفّر الألفاظ والتّراكيب والأحكام ولا يتأتّى الكلام، كأنّ نقول مثلا «جلس البحر في غصن النّار وركب تفّاحة الجرح بقلب خريفيّ الحجر.» فهذا كلام ينقصه تجربة الكيان. فهو من اللّغة لمراعاة أحكامها. لكن معنى التّأليف الّذي هو معنى ذاتيّ – مادام إنجاز الكلام ذاتيّا – منقطع. وأمّا البلاغة فأمرها أعسر.

إنّ البلاغة واقعة في دائرة التّركيب والنّحو. **لكن في البلاغة صورة من المتكلّم لا من قوانين الكلام. فالبلاغة ليست سياسة للقول إلاّ من جهة كونها الأفق الأكثر رحابة للكائن حتّى يجعل من العبارة صورة له.**

البلاغة، عندنا، مكاشفة للذّات قبل أن تكون نموذجا ومنوالا في القول ونسجا عليه. فالثّقافة العربيّة بنت طقوسها ومُثُلها ونُظُمها. فكان لذلك أثر في اللّغة والبلاغة. **إنّ اللّغة تصرّف القول والمتكلّم يصرّف الفتنة.**

وإنّ الكلمة، وهي تؤدّي وظيفة نحويّة في المجاز تستمدّ من علاقاتها التّركيبيّة معناها. إنّ الأمر يتعلّق بإنتاج المجاز من حيث هو معنى تركيبيّ لا معجميّ. ولذلك ننفي وجود مجاز الكلمة.[25]

ولنفترض أنّنا نمتلك اللّغة ولا نعرف التّركيب. فإذا أردنا أن نُعلم مخاطبنا أنّنا نريد القيام بنزهة في المساء سنقول له : «نحن» «القيام» «نزهة» «المساء». فافتقاد الإعراب يجعل المجاز غير ممكن، ولو كنّا نمتلك قوانين التّركيب والإعراب ولا ألفاظ لنا بمعنى لم نصطلح على شيء. فكيف سيبني المتكلّم معانيه ؟ أو لنتصوّر أنّنا نمتلك المجاز وليس في اللّغة ألفاظ قائمة بإزاء معان، فكيف يمكن العبارة ؟ إنّ شرط الدّلالة في تكامل المجالين. فاللّغة لا تكوّن نظاما إلا بكثرة الاستعمال. والاستعمال غير ممكن بغير جهاز نظريّ. فالعطف والشّرط والنّفي والأمر مفاهيم أنشأها الاستعمال إذ التّواطؤ لا يدلّ على الشّرط.

وإنّ الأشياء لم تعد من شأن الكلمات وحدها. فقد صار للفضاء أهميّة في التّواصل. إنّ للبعد البصريّ فعاليّته التّعبيريّة والتّواصليّة وصيغ إنتاجه وتلقّيه. وإنّنا ندرك الصّعوبة المتعلّقة بهذا البحث في تمثّل الحقل الإشكاليّ كلّه.[26] فالبلاغة اتّسعت لتشمل حقل الفنون التّشكيليّة.

ويمكن الحديث في البلاغة العربية عن ضربين من العدول :

- عدولات استبداليّة موضعيّة في أن نضع كلمة موضع كلمة.
- عدولات تركيبيّة نظميّة في إعادة تركيب العلامات.

---

(25) هذا الرّأي لا يمرّ دون توضيح أو احتراز مادمنا نفهم معنى الكلمة مثل عنوان مؤلّف مثلا «البؤساء» أو حينما نضع مرادفات أو مقابلات من لغة أخرى أو حينما نضع معجما. ولذلك، فإنّ اللّغة لها معان أصليّة ومراجع ثابتة. انظر

P, RICŒUR, **La métaphore vive**, quatrième étude, La métaphore et la sémantique du mot, pp. 143-144.

وهذا رأي نناقشه بكون معنى الكلمة في المعجم مختلف ومتعدّد. فهي قد رشّحها سياق سابق. ثمّ بدت كأنّها وضعيّة اصطلاحيّة. وهذا أمر يحمل الدّراسين على دراسة مشكل الدّلالة نفسه في نطاق أوسع. فمعاني المعجم معان تركيبيّة منتزعة من السّياق. واللّغة نشأت في الجملة، أي في مقصد متكلّم. لقد كانت اللّغة من الكلام قبل أن تصير ألفاظا مفردة. فالاصطلاح وُضِعَ من استقراء الكلام.

(26) Barthes, **Rhétorique de l'image**, communication, n°4, p. 26.

وأمّا العدولات الفضائيّة الّتي حولّت النّصّ وتذوّقه وتلقّيه من القراءة إلى الكتابة فإنّها جعلت البعد الفضائيّ في الإنتاج والتّلقّي مولّدا للمعاني والدّلالات. **فالاشتغال الفضائيّ مازال يفتقد سندا نظريّا ومفهوميّا لتبيان كيفيّات هذا الاشتغال.** فقد شاع التّمركز حول الصّوت. وكان لانتشار الخطاب مطبوعا ومرئيّا دور حاسم في التّواصل وفي توفير إمكانات تواصل تعبيريّ، فظهرت سنن جديدة للإنتاج والتّلقّي. **وجعل الزّمن التّقنيّ الجديد البلاغة تبارح نُظُمَهَا القديمة.**

وإنّ التّشكيل الفضائيّ ممارسة جماليّة بدأت تتبنى في الغرب منذ الرّومنطيقيّة. فقد صارت القصيدة هندسة،[27] بما غيّر النّظرة إلى اللّغة وإلى القيم القديمة كلّها. لقد كانت اللّغة ترجمانا للأشياء وكان الشّعرُ عملا منظّما لها، تهيمن عليه الوظائف التّمثيليّة.

هذه التّجربة صاحبها صمت طويل عندنا والنّاس من حولنا في صخب. فهناك فئة ترى في هذا التّعبير الفضائيّ كسرا للبلاغة وفئة تتحمّس بسذاجة، إذ يقتصر دورها على المتابعة والتّعريف لانعدام أرضيّة نظريّة تتأسّس عليها محاورة الظّاهرة الفضائيّة وفئة حاولت صياغة مفاهيم إجرائيّة لمقاربة المظهر الفضائيّ.

وعلينا أن نقيّم هذه الأعمال وأن نضع إطارا نظريّا لدرس الاشتغال الفضائيّ في النّصّ الشعريّ لأنّ ما يعنينا هو كيف ندرك الفضاء حتّى تكون لنا قدرة تأويليّة كبيرة. فالبلاغة البصريّة لم تعد عدولات استبداليّة كالاستعارة والتّشبيه والكناية ولا عدولات تركيبيّة.

ويهمّنا الفضاء الصّوريّ في النّص والمظهر البصريّ في هذا الاشتغال الفضائيّ وقد نقد دريدا مبدأ التّمركز حول الصّوت في الفكر اللّساني البنيويّ ودعا إلى اعتبار العلامة مكتوبةً واقترح علما هو علم الكتابة. la grammatologie وتطوّرت أشكال تأويل الخطوط والكتابات انطلاقا من الصّيغ والهيئات لدراسة الأشكال الخطّيّة وأبنيتها وأنساقها. فالكتابة صارت لها فعاليّة تواصليّة، ممّا يُكسب النّصّ دلالات تشكيليّة. وقد تراجع الإنشاد في الشّعر لفائدة النّصّ المرئيّ، فالتّفضية قد غيّرت

(27) مثلما صار الغناء اليوم فرجة لا صوتا مطربا فحسب.

معنى النّصّ وشروطه وحدوده وينت نسقا جديدا للكتابة. وإنّ هذه الأفكار نريد بها تأويل نتاج شعريّ جديد لنُجيب عن أسئلة الإنتاج والتّلقّي في الحداثة العربيّة.

وإنّ التّجربة البصريّة في علاقة بمراتب الإدراك.[28] ولم يكن غرض سورل تناول المشكل التّقليديّ للإدراك، وإنّما تأويل التّجارب الإدراكيّة في سياق نظريّة المقصديّة والتّساؤل عن كيفيات اشتغال البصر من منظور تصوّريّ.

إنّنا نقرأ البلاغة على أنّها تشكيلات جماليّة دون الانتباه إلى البعد النّفسيّ المتعلّق بكيان القائل.

وإنّ هذه الدّراسة تهتمّ بمختلف الأنظمة التّعبيريّة الممكنة في بناء المعنى حتّى خارج النّظام اللّسانيّ. فالاشتغال على الخطابات البصريّة قَلَبَ نظريّة اللّغة في إنتاج المعنى باشتقاق صيغ تعبيريّة من الفنون التّشكيليّة، ممّا أطلق عليه بيرس الظّاهراتيّة.

ولقد رسّخ دي سوسير أوّليّة الشّفويّ على حساب الأنساق الخطّيّة وجعل النّطقيّ الشّفويّ أهمّ من الخطّيّ البصريّ. وتابعه في ذلك بلومفيلد الّذي يعتبر الكتابة تسجيلا للشّفويّ تُفقده غناه واحتمالاته. فهي لا تحفظ كلّ سمات الشّفويّ. وهذا طرح يؤكّد ثانويّة المكتوب. فبلومفيلد، محكوما بنزعته البراغماتيّة، يرى الشّفويّ والمكتوب نابعين من الخطاطة السّلوكيّة الذّهنيّة نفسها. فالمكتوب لديه يحوّل الحياة إلى رموز.[29]

وانتقد دريدا التّمركز حول الصّوت في تأسيسه لعلم الكتابة أو الغراماطولوجيا. ففي الطّرح البنيويّ يصعب الحديث عن الكتابة موضوعا للّسانيّات. فقد اضطلعت الغراماطولوجيا باكتشاف القوانين التّطوّريّة لتقديم تعريف وافٍ لواقعة الكتابة ضمن الفعاليّات السّيميوطيقيّة الأخرى. وأقام دريدا لبنات هذا العلم منشئا علاقات جديدة بين الغراماطولوجيا والسّيماناليز.

(28) Voir J. SEARLE, **L'intentionnalité**, éd. Minuit, 1986, Chap 2, L'intentionnalité de la perception, p. 56 et Nadin MIHAI, **On the meaning of the visual**, revue, simiotica, 1984, n°52,3/4. p. 339 et Jhons BETHARY, **visual metaphor : lost and found**, in simiotica, Vol 52, 1984, p. 291.

(29) MU : **Iconique et plastique : sur un fondement de la rhétorique visuelle**, in rhétorique, sémiotique éd. 10/18, Paris, 1979.

ستصير الكتابة ذات أوّلويّة مع دريدا ومفهوما أكثر عموميّة للسّيميولوجيا. الشّفويّ لديه يقمع المكتوب ويهمّشه. وقد حوّلت الكتابة المشافهة إلى هامش لها ووضعتها في منطقة محدودة وتابعة. وقد وجّه دريدا ضربات لدي سوسير ولرؤيته القائمة على الشّفويّ باعتباره لديه أهمّ الأدلّة اللّغويّة. وصارت الكتابة موضوعا سيميوطيقيّا من حيث هي نسق دلائليّ يمكن تحديده وضبطه.

ما هي علاقة كلّ هذا بقول الكيان ؟

إنّ الفضاء البصريّ فضاء شخصيّ، **والشّكل صورة من المشكّل**. فالمكان النّصّيّ ممتلئ بما هو من فيض الكيان. وهو عبارة أكثر طلاقة وحرّيّة، إذ أنّ هذا الفضاء نابع من الذّات. لقد صارت بلاغة الصّورة بلاغة مرئيّة - رسميّة. فالفضاء الصّوريّ فضاء تشكيليّ. والصّورة تولّد تنظيما خاصّا للكيان على النّصّ الّذي يسكنه.

لقد تغيّر الفضاء التّخاطبيّ وطقس تلقّي هذا الخطاب. ولم يعد المعنى بنية لغويّة. وتغيّرت البلاغة. فالمقام التّخاطبيّ صار مقاما تشكيليّا. وتراجع الأداء الإنشاديّ النّغميّ. لكن انتشار الكتاب قد أضعف الصّبغة السّماعيّة.[30]

ولقد تغيّر سَنَنُ الإنتاج وسَنَنُ التّلقّي في طقس يقول فيه الكيان أشكاله ومعانيه وهواجسه. وقد صارت القصيدة عبارات وفضاءات وإيقاعات وبياضات وألوان.

ولقد نادى ميشونيك استنادا إلى الخلفيّة النّظريّة لجاك دريدا في نقد ميتافيزيقا الدّليل والتّمركز حول الصّوت، بأنّ بلاغة التّنظيم الطّباعيّ بلاغة جديدة تتمثّل في انحرافات البياض لدى مالارمي وفي شعريّة أبولينير الّتي طردت محاكاة الطّبيعة منه.[31] فالفضائيّة عنده تخرج عن اللّغة. وإنّ الثّقافة العربيّة لا ترى الكتابة إلاّ تمثيلا للشّفويّ. فهي دالّ على دالّ بخلاف ما نقرأ لدى يلمسلف الّذي يعتبر الشّكل اللّسانيّ قابلا للتّحقّق شفويّا وكتابيّا.

(30) Voir **language**, p. 43.
(31) Voir MESCHONNIC, ***L'enjeu du language dans la typographie***, in revue littérature, n°35, oct. 1979, p. 38 et **Critique du rythme**, pp. 52-53.

وإنّ التّصوير يعيد إنتاج الأشياء. وإنّ الوحدات غير اللّغويّة المكوّنة للصّورة تنتمي إلى مجال سيميولوجيا الصّورة.[32] وقد نجد تراكبا تشكيليّا بين المعنى اللّسانيّ والمعنى الأيقونيّ كما في «الحمامة المطعونة ونافورة الماء» لأبولينير.

وأمّا غريماس هذا الّذي اشتغل بسيميوطيقا الخطاب - والخطاب السّرديّ على وجه الخصوص - فقد حاول وضع نظريّة للخطاب الشّعريّ.[33] واعتبرت كرستيفا النّصّ «موضعة فضائيّة لوحدات دالّة».[34] واعتبرت الشّعر التّشكيليّ واقعة خطابيّة بامتياز، باعتبارها مناطق جديدة للاشتغال البلاغيّ والرّمزيّ. وأمّا أوريكيوني فترى أنّ الوحدات الصّوتيّة والخطّيّة تبني الدّوالّ وتؤسّس نظاما جديدا للإيحاء،[35] إلاّ أنّها لم تطوّر نظرها إلى نظام الصّفحة وما ينشأ عن ذلك نظريّا وإجرائيّا. وأمّا تنظير جماعة مو MU للخطاب فقد أكّدوا فيه أهمّية البعد البصريّ وخصوصا الأدلّة الخطّيّة. وهذا الالتفات إلى الدّليل الخطّيّ أقاموا عليه البعد التّشكيليّ للنّصّ.[36] يقولون «إنّنا، إلى الآن، لم نتحدّث عن الكلمة إلاّ من حيث هي ظاهرة صوتيّة. لكنّ الرّسالة تدرك غالبا بوساطة أخرى هي الكتابة».[37] ويستندون إلى تصوّر يلمسلف في اعتبار المادة الخطّيّة ذات طابع لسانيّ. ويشرحون ذلك في **بلاغة الشّعر**[38] فيرون وجود تشاكل صوتيّ - خطيّ في الدّليل.

ويرى جاك أنيس J, ANIS أنّ البعد البصريّ دالّ مندمج في التّشاكلات النّصّيّة. ويلغي فكرة أنّ الخطّيّات نصوص أضيفت إليها رسوم. ويبيّن الكيفيّات الّتي بها يمكن للحروف وعلامات التّرقيم أن تشكّل وتتشكّل. فالتّفضية تنتج المعنى وتساهم في بناء التّركيب الدّالّ. ويدعو إلى أنّ تضع سيميوطيقا النّصّ الشّعريّ الوجه الخطّيّ في اعتبارها.[39]

(32) Voir G. GENETTE, **Figures** II, Seuil, 1969, p. 124.
(33) GREIMAS, **Pour une théorie du discours poétique**, in essais de sémiotique poétique, p. 11.
(34) **Sémiotiké**, p. 201.
(35) **La connotation**, p. 25.
(36) **Rhétorique générale**, p. 33.
(37) Ibid, 51.
(38) Voir **Rhétorique de la poésie**, pp. 265-270.
وانظر فصل الشّعر من الإنشاد إلى التّشكيل، ص46.
(39) **Visibilité du texte poétique**, in langue Française, n°52, p. 80.

كلّ ذلك يهمّنا باعتباره أشكالا من انبناء المعنى في كيان القائل وتعدّد وجوه العبارة عنه. فهناك تحوّلات في الأشكال نشأت عن تغيّر في شكل الوجود والكائن. وإنّ للخطّ تاريخا متّصلا بتاريخ اللّغة الّتي تُكتب به. فهو يحمل ذاكرة اللّغة وتاريخها السّرّيّ.

وهكذا نرى أنّ الصّور أكبر من الكلمات وأنّ معنى البلاغة ومعنى اللّغة ومعنى المعنى ومعنى النّصّ قد تغيّرت بما جرّ تحوّلات تشكيليّة عميقة تؤكّد حقّا أنّ البلاغة القديمة قد ماتت رغم هؤلاء الّذين قد نسجوا لها لباسا جديدا.

في نظرية الشعر

تأويلات لسياسة الكتابة الشّعريّة وعلاقة تصاريف اللّغة بطاقات الكيان وتأسّس خطاب رمزيّ حول تاريخ المعنى في الشّعر من التّعيين إلى التّشكيل .

إنّ من همّ هذه الأطروحة إعادة صياغة جملة من الإشكاليّات الّتي تتّجه إلى تأويل النّصّ الشّعريّ. والّذين تمرّسوا بهذه المباحث يدركون أنّ كلّ تأويل هو حمل للعلامة على جهة مّا . فتأويل النّصّ محكوم بحدود وقوانين ومنطق والنّصّ ينفلت من الحدّ والقانون والمنطق. وإنّ كلّ تأويل هو رسم لفرضيّة قراءة. فالنّصّ جمّاع سُنن. وإنّ الوقوع على إمكان أقصى في تأويل النّصّ الشّعريّ سيظلّ حلما جميلا لا سند له.

وإنّ ما يوقفنا على عتبات الحيرة في أمر يطلب فيه النّاس البرهان هو أنّ النّصّ الشّعريّ ليس موسوعة سمات وعلامات وأشكال. فعبد القاهر الجرجانيّ قد حلّل المزيّة في أبيات لامرؤ القيس. ونحن نحلّل هذا الشّعر نفسه. فما هو الدّاعي إلى إعادة القراءة والاعتبار؟ إنّنا، اليوم، محمّلون بأفق تأويليّ جديد مجهّز بالتّفكيكيّة والتّداوليّة ومناهج الإنسانيّات. **فالوجود الوحيد للنّصوص يقع في التّأويلات الّتي تُبنى عليها**، وإنّ تأويل النّصّ معناه الوقوع على شبكة انتظام العناصر المكوّنة له.

ولقد خرج حتّى غُلاة التّقليديّين عن تصوّر النّصّ يحوي مقاصد المؤلّف. فالمؤلّف صار مرتبة من مراتب خطابه. ولا يقع المعنى في أفق النّصّ. وإنّما هو إمكان واحتمال. فالمؤوّل يُدخل النّصّ في عالمه. فما يُشْكِلُ على المؤوّل ليست رموز النّصّ. وإنّما كيفيّات اعتبار هذه الرّموز.

وإنّ المؤلّف لا يقول اللّغة بل اللّغة هي الّتي تقوله. فالنّصّ ليس حاضنا لدلالة مّا ؛ إنّه احتمال لامتناه من الدّلالات واللّذائذ. فالعبارات تقول وتُخفي. وإنّ قارئا عابرا هو الّذي يقول : فهمت قصد المؤلّف. والقارئ المختصّ يعرف أنّ النّصّ طبقات طبقات وفضاءات فضاءات.

وإنّ هناك أنساق تأويل بنى بها أصحابها تصوّرات عميقة عن طرائق بناء المعنى في الشّعر. لكنّها شخّصت الإمكانيّة الواحدة على أنّها الإمكانيّة الوحيدة والتّصوّر الجزئيّ على أنّه الكلّيّ.

وإنّنا لم نعد نسمع الشّعراء القدامى ؛ إنّ الأوراق هي الّتي تتحدّث إلينا ونتحدّث إليها. والنّصّ على الورق مفصول عن مقام إنتاجه. وسيبني فضاء فسيحا من التّأويلات. وفي النّصوص القديمة مازال يختبئ سَنَنٌ شعريّ. فالنّصّ يفقد سلطة المرجع عبر الزّمن مثل نصوص المؤرّخين الّتي صار يعنينا منها لا الأحداث والوقائع وإنّما بعدها العجائبيّ. **فالتّأويل، يصنع، في كلّ مرّة، مقاما جديدا بمعانيه واحتمالاته وسُننه أيضا.**

وتتطلّب البرهنة على محمولات التّأويل واحتمالاته الانتباه إلى تحوّل الفكر والكائن من ميتافيزيقا التّشابه إلى ميتافيزيقا الاختلاف[1]. وإنّ التّقليد البلاغيّ قد قام على طلب الاستبدالات التّماثليّة الممكنة. فالأشياء كانت متقاربة. والمؤوّل محكوم بمنطق المماثلة. وإنّ تعريف العرب للمجاز بكونه قيام شيء مقام شيء رسّخ صور المشابهة. وإنّه بإمكاني أن أقول هذا أسد وأعني رجلا. فالتّجاور والمماثلة والمشاكلة أنشأت نظاما للبلاغة وحدّدت منطق إنتاجها.

وعلى هذا النّحو تكرّس الشّرح باعتباره ترسيخا لسلطان التّأويل الواحد الّذي وضع المجاز القديم قريبا من العلامة وقريبا من المشابهة. فبمجرّد أن يتحوّل نصّ إلى دائرة تأويليّة منغلقة حتّى يخرج من التّداول إلى القداسة والاكتفاء بوجوده. وهذا أمر استند إلى حدود زمنيّة في تأويل النّصوص وحدود اعتبارها وقراءتها.

لأتصوّرْ أنّ نصّا شعريّا انغلق على نفسه ؛ غلقه شرح معيّن له، فما هي فائدته لنا الآن ؟ فالنّقّاد كانوا يعتقدون أنّهم يمتلكون مفاتيح النّصوص.

وإنّ النّصوص تنحدر بلاغاتها من مجال المتشابه. واللّغة هي الّتي أحدثت هذا التّشابه أو هي أوضح عبارة عنه. فالمجازات صارت تتداعى في منطق انسجام.

---

(1) بنية الشّرط مثلا بنية التزام ومشابهة إذ تحدث تماثلات يقتضي فيها شيء شيئا آخر. واللّغة في ذلك تقطع مسارا مجهولا من «الوسم» إلى «لانهائيّة الاحتمالات». راجع محمّد صلاح الدّين الشّريف، **مفهوم الشّرط وجوابه**، ص ص 33 و1053.

والتّأويل القديم يراهن على أنّ الكاتب يمتلك القانون البلاغيّ لكتابته. وإيجاد استعارة مسألة مهارة في نظام مشابهة باستبدال الرّجل بالأسد مثلا. فالنّسق البلاغيّ سابق على النّصّ، أي أنّ المبادئ المتحكّمة في إنتاجه سابقه على النّصّ.

وإنّ النّصّ جهاز يمكنه إنتاج قرّاء وقراءات بما هي تخمينات حول المقاصد الأصليّة، لكنّ إستراتيجيّة النّصّ غير مقاصد صاحبه.

وإنّ النّصّ هو ما يقوم التّأويل ببنائه في حركة كشفيّة لما يُبنى فيه من أشكال. فالنّصّ استراتيجيّة سيميائيّة. وإنّ فكرة سلطة النّصّ على التّأويل فكرة متقادمة. وقد أطردت فكرة الاستراتيجيّة النّصّيّة مقولة قصديّة المؤلّف الواقعيّ للنّصّ بجعل المؤلف استراتيجيا نصّيّة.

إنّنا حاولنا أن نؤوّل الشّعر. واستبنّا في نصوص الحداثة أنّ ما كان تشابها صار اشتباها وما كان انتظاما صار مغامرة رمزيّة. وإنّ ما أثرته من قضايا قراءة الشّعر يقع في ميتافيزيقا الاختلاف الّتي تُنتج اللاّمتماثل واللاّمتشابه واللاّمنسجم.

فلماذا سألت سؤال المعنى في هذه الأطروحة ؟ ولماذا كان إصراري شديدا على قراءة الشّعر من أقدم النّصوص إلى آخر ما كُتب الآن ؟ إنّ المقام الّذي تقع فيه الكتابة لم تتبلور أسسه ولم تستحكم أصوله. وربّما كان عدم استحكامها ليس صورة مؤقّتة. وإنّما صفة حداثيّة للقول الشّعريّ باعتبار الحداثة لا صفة لها إلاّ ما تُحدثه من احتمالات منفتحة.

ربّما كان علينا ألاّ نُخبر أحدا بما يحدث الآن في النّصوص حتّى نرى عاقبة هذه المغامرة باللّغة في الشّعر الحديث. لقد أحببت تلك الجملة المثيرة لمحمّد صلاح الدّين الشّريف في قوله : «نستلّ من اللّغة رموزا كما يُرمى خطّ الرّمل لنكشف عن صوت الإنسان في صمت المنطق وسرّ عقله في جفاف النّحو.» [2]

(2) مفهوم الشّرط وجوابه، ص 6.

فمازال هناك متّسع من الوقت لنرى تطوّرات مغامرة الكيان مع اللّغة وعلاقة الكيان بإنتاج الرّمز ممّا سيتعطاه جيل آخر لا نملك عنه وعن تأويله ونصوصه حتّى حدوسا بعيدة. لن نستعجل أمرا لا صفة له عندنا ولا تأويل يبلغه. وإنّما همّنا أن ننقل ما خبرناه من تجاربنا مع النّصوص، فمن شجاعة الرّأي أن نذهب في النّصوص مذاهب عديدة ونقرّ في آخر المطاف بلاكفاية المفهوم والصّورة ونحو النّصّ وانسجام الخطاب.

إنّ ما انتهينا إليه هو وقع النّص علينا. ونصّ امرؤ القيس ليس له الوقع نفسه على الجرجاني وعليّ. وإنّنا لنشعر بحرج أن ننقل ما قاله القدامى في شروحهم. وقد ورد ذلك كثيرا في عملنا رغم مقاومتنا له. وربّما مازالت أدواتنا لم تتهيّأ لبناء نسق قراءة أخرى. وإنّ أعمالنا محكومة بغلبة الطّموح والخطاب على نظام جديد للتّحليل لم تتأسّس أركانه ومبادئه بعدُ.

وإنّ إقامة نظريّة للمعنى وللنّصّ لن تكون خارج إطارين :

- إقامة الصّفات والهيئات والتّحديدات. والتّأويلُ، ههنا، كشف عن معنى.
- محاولة الظّفر بمعنى وطلبه وبناء احتمالات حوله.

وإنّ النّظر النّقديّ تراوح بين المطابقة بين الأسماء والأشياء وانقطاع العلامات عن الأشياء. وقد أنشأ ذلك نسيجا من العلامات غير المرجعيّة. ولذلك فإنّ مدلول نصّ صار أمرا لا يُطلب لأنّه في متاهات لا تدرك وقد انقطعت المسالك المؤدّية إليه.

فكيف أنّ كلمات اللّغة لم تتبدّل والمعاني تبدّلت ؟

إنّ الكتابة ضرب من محو المرجع.والتّأويلُ انقطاع عن سلطة المرجعيّة على الرّمز. فهل الحلّ يكمن في التّفكيكيّة ؟ لقد شاع تصوّر دريدا عن كون النّصّ آلة تُنتج سلسلة من الإحالات اللاّمتناهية. فالنّصّ قد غيّب إحالاته ومراجعه وهو ينشئ مرجعيّات جديدة غير محصورة. فلقد ألغى دريدا النّصوص ذات المرجعيّات المحدّدة والنّهائيّة والصّريحة. وإنّ النّصّ الحداثيّ في تصوّر دريدا يريد تحدّي ميتافيزيقا الحضور الّتي تضع في أفقها مدلولا نهائيّا وتعتقد ذلك رغم أنّ النّصّ لا

يقول مدلولا واحد وحيدا. فاللّغة تعطي مقاما للمعنى أكبر وأكثر من مدلولات الكلمات لـ «عجز اللّغة عن تكوين قدرة لفظيّة تكافئ قدرتها المعنويّة» .[3]

وإنّ اللّغة في الشّعر لعبة دوالّ. ولا وجود لمدلول متعال على النّصّ. والمؤوّل يطلب مدلولا يرجئه باستمرار. **فمبدأ اللاّتناهي هو الّذي يوزّع العلامات على السّلسلة الدّالّة.**

وإنّ التّفكيكيّة أقامت للمعنى في النّصّ مقاما قائما على اللاّتناهي. وإنّ ما يشجّعنا على نتائج انتهت إليها تفكيكيّة دريدا هو أنّ الشّعر الحديث ينتج مثل هذه المتاهات.

وإنّ النّصّ ليس إلاّ صورة من إستراتيجيّة مفهوميّة أُجريت عليه. فنصّ الشّعر لا ينتشي بحضوره الخاصّ خارج سلطة المفهوم. والنّص لا يعيش إلاّ باستدعاء مؤوّل.

ونحن نعبّر عن الكيان بالعلامات ؛[4] أي عبر آليّات إنتاج الكيان. فالإنسان ممارسة دالّة. فهل المؤوّل يبلغ دلالة مّا هي لديه أمر خارج فنّ البرهنة ؟

ما هي علاقة الخوف بحفنة تراب ؟ هذا هو الفضاء التّخييليّ الّذي أنتجته الحداثة. فهذا التّرميز لم تحدثه الثّقافة القائمة. فهل إنّ الرّموز مسنّنة في نسق ؟ وهل إنّ الرّموز تُدرك خارج الإطار المفهوميّ الّذي تؤوّل استنادا إليه ؟ إنّ الصّورة والرّمز هما أرقى طرازين للكيان في إفصاحه عن ذاته، إذ الإنسان ينظّم الخطاب بالرّموز.

(3) محمّد صلاح الدّين الشّريف، مفهوم الشّرط وجوابه، ص 24.

(4) DERRIDA , *De la grammatologie*, p. 71.

في المتون القديمة فكرة تشقّ كلّ التّراث البلاغيّ مدارها أنّ الشّعر ضرب من بلاغة الكلام. فقد عدّوه في نهاية الفصاحة وفي أعلى طبقات البلاغة، بل إنّ التّجويد جنس من تصريف طرائق القول. والشّعريّة ليست في اتّباع السّنن وطرائق العرب في كلامها. وإنّما في إعادة تشكيل علاقات بين المعاني لتوليد وجوه من البلاغة والقول جديدة. هذه الفكرة من فرط ظهورها لا نجد لها ذكرا واضحا ممّا جعلها خفيّة على الدّارس. فلا يبني عليها نتائج. والمتكلّم يشكّل خطابه من مادّة معنويّة هي في حوزته. وأمّا الشّاعر فالأشكال ممتنعة عليه. فهو رجل **يصنع الفتنة بكلمات ليست له ليُحدث كلاما هو له.** فما هو نصيب الشّاعر من نصّه ؟

إنّ اختبار الحقل الإشكاليّ لهذا السّؤال يقتضي أن نبيّن أنّ قوانين إنتاج المعنى بالبلاغة تثير مسألتين منهجيّتين على قدر كبير من الخطورة.

تتمثّل المسألة الأولى في بيان أنّ بلاغة الشّعر لا تتحدّد لها خصائص تميّزها عن البلاغة في الخطبة أو البلاغة في المقامة أو البلاغة في القرآن. فالعلاقة بين البلاغة ونوع المخاطبة الّتي وردت فيها لا تحدّد أيّ ضرب من الخصوصيّة. فليس هناك بلاغة تخصّ شكل المخاطبة، إذ البلاغة العربيّة ليست بلاغة مخاطبات. وإنّما هي بلاغة عامّة متعالية على الأجناس. وهذا أمر يثير جملة من الإشكاليّات النّظريّة والمنهجيّة.

وتتمثّل المسألة الثّانية في أنّ الشّعر ليس إنجازا بلاغيّا، فقد تتوفّر خصائص بلاغيّة. ولا يكون الكلام شعرا لأنّنا لا نمتلك مسردا لأوجه التّشكيل متى توفّر تحقّق البعد الشّعريّ. فالبلاغة تتلاقح مع مقتضيات الكائن. فتنشأ صور من القول تحمل بلاغة جديدة.

ويمكن أن ننتهيَ إلى ردّ فكرة أنّ الشّعر ضرب من البلاغة. فالشّاعريّة ليست الشّعريّة، ذلك أن شاعريّة الشّاعر هي دفق من نفسه يطلب تشكّلا كان قد وجد في مفاهيم مثل البداوة والطّبع سياقه. فالشّاعريّة هي صوت الكيان وعبارته. ولتوضيح هذا الأمر نذكر تفريق النّقاد بين ما يطلقون عليه الاعتقاد وهو أن يكون المرء عاشقا ويكتب في الغزل وبين أن يكتب وليس في قلبه شيء أو بين أن يكون قد وقف بالطّلول وبكى وبين أن يأتي شعره احتذاء. **ذاك هو الفرق بين الشّاعريّة، بما هي طاقات**

الكائن وبين الشّعريّة، بما هي طاقات اللّغة، بين العبارة عن الكيان وبين نظام العبارة.

وإنّ ما يشكل علينا في هذا الإطار هو أنّ الشّاعر محكوم ببلاغة، بمعنى أنّ الكيان محكوم ببلاغة. فالبلاغة العربيّة،على سعتها ووفرة تصاريفها،تكيّف الكيان. فإذا كان الإنسان كائنا لغويّا، فإنّ الشّاعر كائن بلاغيّ، لا يمكنه قول كيانه خارج ما رسمته البلاغة من آفاق للقول، وإن كانت واسعة، فإنّها تُردّ إلى طرائق. فللكيان طرائق يقال حسب طاقتها وحدودها، والبلاغة محدودة ومظروفة والكيان واسع وبعيد الغايات. وعلى هذا الأساس نفسّر قول الجاحظ : «أقدار المعاني» و«أقدار الألفاظ».[5]

وأوجدوا للكيان طريقا إلى العبارة. فذكروا «الإلهام» و«البديهة» و«الطّبع» ليفسّروا شرائط العبارة ويرسموا صورها. فللكيان سلطان على اللّغة يحاول أن يقولها بطرق مختلفة. إنّ الكيان يدعو اللّغة إليه ليعبّر عن طاقاته. لكنّ هذه المرور من الشّاعريّة ومحلّها الكيان إلى الشّعريّة ومحلّها اللّغة، ومن الكائن إلى النّظام البلاغيّ الّذي هو، في وجه منه، حالات سابقة قالها الكيان، هذا المرور يدفع إلى تعمّق مسالك هذا الانتقال وما تثيره من إشكاليّات. فالشّاعر لا يتلقّى كيانه اللّغة. فهناك ضرب من الإحداث، إذ الشّاعر ينشئ نفسه، أي كيانه، باللّغة والبلاغة. ونحن لا نرى الكيان إلاّ من خلال اللّغة الّتي تشكّل فيها، أو تشكّل وفق بلاغتها وشجاعتها بعبارة أدقّ وأشمل. وإنّ ذكرهم للاقتدار لدى الشّاعر أو امتناع القول عنه يبيّن أنّ العلاقة بين الكيان والبلاغة ذات أجناس ومراتب. فالألفاظ تأتي انثيالا والألفاظ تعتاص على القائل.

وإنّنا لا نمتلك الصّورة الأصليّة للكيان. ففي حوزتنا صورة بلاغيّة وشعريّة عنه. وإنّ نشوء الشّعر يكون عن «طول التّفكّر»[6] أو «بقهر الكلام واغتصاب المعاني».[7] فالشّاعر، بعبارة الجاحظ، «يستهلك المعاني».[8] لكنّ المعاني أيضا تستهلك الكيان. وهكذا يصير الطّبع لصيقا بالكائن معبّرا عنه مشتملا عليه. فقوانين التّشكيل

---

(5) الحيوان 3 : 34.
(6) ابن قتيبة، الشّعر والشّعراء، 32.
(7) الجاحظ، البيان والتّبيين 2 : 13-14.
(8) م ن2 : 136.

والصّياغة لا تحجب عنّا المعنى القائم في الكيان، على أنّنا نبيّن أنّ المعنى ليس لغويّا في أصله. وإنّما هو الكيان نفسه. فالكيان يوجد وجودا لغويّا وبلاغيّا. والكيان في حاجة إلى الدّربة حتّى ينقال. والشّاعر – حسب الأصمعي – «لا يصير في قريض الشّعر فحلا حتّى يرويَ أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعاني وتدور على مسامعه الألفاظ.»[9] فرواية الأخبار ودوران الألفاظ على المسامع هما تعويد الكيان على هذه المسالك في الانكشاف. وليست الأخبار إلاّ الحاجات القديمة الّتي قالها الكيان. والشّعر مراس كما يقول ابن طباطبا.[10] وهو «رياضة».[11] فالأشعار تكون «صقلا للطّبع ورياضة للفهم وتلقيحا للّذهن.»[12] وكلّ ذلك بـ «الوقوف على مذاهب العرب في تأسيس الشّعر والتّصرّف في معانيه.»[13] ويذكر ما يدلّ على اعتياد الكيان اللّغة. فالأشعار «تلتصق بالفهم وترسخ أصولها بالقلب.»[14] **والكيان كان منغلقا على صمته خارج اللّغة وخارج الزّمن والفعل وخارج العبارة.** والشّاعريّة يؤول أمرها إلى شعريّة. وإنّ الكيان المفرد يحتاج إلى ما عبّرت عنه كيانات أخرى. فالشّاعر «حتّى إذا جاش فكره بالشّعر أدّى إليه نتائج ما استفاده ممّا نظر فيه من الأشعار.»[15] وهكذا نفرّق بين الكيان المفرد والكيان الإنسانيّ بوجه عامّ. فالكيان يحضر في اللّغة ويوجّه طرائقها ويبلورها على مقتضى حاجاته حتّى أنّ جملة طرائق انبناء المعنى في اللّغة هي من جنس طرائق انبناء المعنى في الكيان.

وإنّنا نحاول أن نذهب في الخبايا. فإذا عرّفنا الشّعر من جهة بلاغته أزحنا الكيان من التّعريف، أي أغفلنا – أو غفلنا عن ذلك – أنّ الشّعر نبت في مناطق مشتبهة مظلمة صامتة في أعماق الكيان. وليس الوجه البلاغيّ منه سوى صورة باهتة من نبض القائل وحاجاته. فكثيرا ما غمر البحث في الشّعريّة البحث في الشّاعريّة. فلا تحجب عنّا مذاهب القول منابته وأصوله.

(9) ابن رشيق، العمدة I : 136.
(10) العيار 4.
(11) الجاحظ، البيان والتّبيين I : 14.
(12) العيار 10.
(13) م ن 4.
(14) م ن 10.
(15) م ن، ص ن.

انتهينا إلى أنّ البلاغة لا تختصّ بالشّعر من حيث أشكالها. فالصّورة في الشّعر لا تختصّ بجنس المخاطبة. فإذا استجدنا صورة، هل نحن نستجيدها من حيث هي تبني جنسا من الجمال بشكل عامّ أم من حيث هي صورة كيّفها شكل الخطاب الشّعريّ ؟ ممّا يدفعنا إلى إلقاء سؤال كبير الحجم في هذا المشغل هو : ما هو الفرق بين الجودة بوجه عامّ والجودة في الشّعر وبين جودة بلاغة الخطبة وجودة بلاغة الشّعر ؟

هذا السّؤال يفتح مجالا إشكاليّا رحيبا. فتعريفات الشّعر بكونه خلاف النّثر أو بكونه عدولا عن الكلام المتعارف لا تحدّد خصوصيّة المخاطبة. فهل نجد في الإيقاع ما به يكون الكلام مختصّا بجنس الشّعر ؟

الشّعر هو الكيان يأتي في لغة موقّعة. فالكلام مصرّف وفق تشكّل منتظم قائم على التّنغيم وحسب أوزان وقواف وتوازنات تركيبيّة وإيقاعيّة. والإيقاع يكيّف القول ويوجد له قوانين. والإيقاع يجعل الكلام يكتسب شكلا. لكن إذا اعتبرنا أنّه لا توجد معان خاصّة بالشّعر، هل لا توجد إيقاعات خاصّة بالشّعر ؟ ففي القرآن والخطبة والمقامة أيضا إيقاع. فهل أنّ معاشرة الإيقاع لمكوّنات أخرى للشّعر كيّفت الإيقاع في الشّعر. وهل يمكننا الكلام عن الإيقاع الشّعريّ أم عن الإيقاع في الشّعر، بمعنى هل إنّ الإيقاع يتكوّن في الشّعر أم هو أمر له صورته خارج الشّعر ثمّ يلابس هذا الخطاب ؟

إنّ قدامة يحدّث عن «ائتلاف اللّفظ والوزن»[16] فهل الوزن كان قائما في محلّ مّا ثمّ ائتلف مع اللّفظ ؟ وهذا هو الرّأي الّذي ذهب إليه ابن طباطبا.

إنّ الكيان، وعلى وجه مّا، يجرّ اللّغة إلى أن تعطيه ما عندها. وفي قول الجاحظ إنّهم «يسومون اللّغات ما ليس في طاقتها والنّفوس ما ليس في جبلّتها»[17] ما يدلّ على

(16) نقد الشّعر 65.

(17) البيان والتبيين I : 82.

أنّ الكيان هو الّذي اقتضى سوم أمر آخر ليس في طاقة اللّغة أن تقوله. فكونهم يسومون يعني أنّ حاجات الكيان أكبر من طاقات العبارة. فاللّغة تريد للكيان أن يكون صورة منها. وإنّ ميلاد اللّغة هو ميلاد كيان. واللّغة متى انغرست في كيان صارت منه، إنّها تتكفّل به وتعبّر عنه وتحضن أوجاعه وأحلامه وفراغاته في لحظة فتنة القول. ويصير بناء خطاب ضربا من الزّواج بين اللّغة والكيان. والجودة في طريقة الكيان في الإفضاء أو في التّشكّل. فطرائق التّشكيل والانبناء والصّياغة ليست محصولا ثابتا، إنّها متعلّقة بذاك القران وبكيفيّات التقاء الكيان باللّغة وما يتولّد عنه من ضروب الأشكال.

لقد أعطانا هذا اللّقاء بين اللّغات والكيانات رصيدا وفيرا من الصّياغة والتّصوير نشأ عن فطنة الشّاعر إلى طاقات اللّغة. فالشّاعر شاعر لأنّه يفطن إلى ما لا يفطن إليه غيره.

إنّ اللّغة حياة أخرى للكيان. **ربّما كانت حياة الكيان خارج اللّغة مطلقة صامتة متكتّمة على عنفوانها مليئة بالاحتمالات. فتأتي اللّغة باحتمال منها هو احتمال تصنعه العبارة.** إنّ المعنى في الكيان مفارق للمعنى في العبارة.

لقد نشأ عن سوء فهم هذه العلاقة إخراج الذّات المبدعة من إبداعها وقراءة الأشكال اللّغويّة واعتبار الشّعر مادّة لغويّة دون الانتباه إلى النّص الكبير الأوّل وهو الكيان.

ولقد استقرّت الأسامي على المسمّيات. لكنّ الشّاعر لا يلتزم الضّوابط الدّلاليّة، فيبتكر معان نحويّة تركيبيّة في نسيج تخييليّ يعيد فيه التّسمية. وعلى مقتضى التّخيّل يعيد تشكيل معاني الأشياء. **فهناك داع جذريّ إلى التّكلّم وخرق التّمثيل.**

وإنّ انتماء الكلام إلى الكيان قد حرّر حقلا لسانيّا لم يكن ليوجد لولا اللّغة الّتي جعلت الكيان ثقافيّا وتاريخيّا. **فلقد جعلت الكلمات ما نتخيّله هو ما نقدر عليه.** وهذا أمر يدعو إلى إعادة نظر أساسيّة في طاقة اللّغة على إعادة التّسمية. فنحن متى بعثرنا مكوّنات جملة لم نحصل من مجموع المعاني المفردة على معنى التّركيب. وهذا أمر كثير التّداول في الدّراسات اللّسانيّة. وإنّما الأمر في أنّ العدولات نحويّة. ولا تتعلّق أصلا بإعادة تسمية الأشياء فحسب. فالكلمات لا تُنجز بلاغة، إذ البلاغة

في تعليق الكلم. وهناك قوانين نحويّة تحكم إنتاج البلاغة. فإن كانت البلاغة تنزع عنها الدّور التّمثيليّ للّغة، فإنّها تؤكّد دور المتكلّم في بناء المخاطبة، **فرغم أنّ التّركيب ينتج المِثْل، فإنّ في مقدور المتكلّم أن يخترق المتماثلات لبناء صورته الدّلائليّة ويولّد إمكانيّته المتفرّدة لإقامة خطاب.**

وإنّ الخطاب ليس له قيمة تمثيليّة لأنّه خروج من اللّغة إلى الكلام. والكلمات تقول نفسها إذ تقول الأشياء. فالكلمة إنّما هي عبارة عن كونها، أي عمّا يجعل منها عبارة بكلّ محزونها النّفسيّ والثّقافيّ. وإنّ الإنسان، في الأصل، لم يطلق سوى صرخات، **فبأيّ وجه تساوي الصّرخة الكيان ؟ إنّ صيحة البدائيّ لا تصير عبارة لغويّة. فما يجعل الكلمات تأتينا – أو تتأتّى لنا – فوق صخب الصّرخات وضجّة الصّيحات إنّما كونها جملة.** فالصّيحة كأصوات الحيوان وحفيف الأشجار وهدير الرّياح لها معان خارج اللّغة. والمتكلّم لا يمثّل الأشياء بالكلمات ؛ إنّه يبني تركيبا إدراكيّا. فحينما نقول : مطر، فنحن لا نريد أن نقول إنّه ينزل أو يكفّ. وإنّما نشير إليه ونعينه في الإدراك كما نعلّم الطّفل الأسماء. **فالعبارة تبدأ حيث يوجد خطاب.** وحتّى عبارة «لا» فإنّها ترجمة للرّفض. فنحصر التّعبير في لفظ ونضمر بقيّة الكلام. كما يذكر النّحاة أنّ العرب يختصرون الكلام إذ يقول السّائل : «ألا هل... ؟» فيجيب المسؤول : «نعم، قد...» ففي هذا الكلام فعليّة وإسميّة وعطف وتركيب. ولولا اللّغة لساد الصّمت ولما كان لجهاز التّصويت إلاّ أن يجعل الإنسان أكثر أصواتا وصرخات دون أن يقدر على هذا الجهاز الهائل الّذي بناه : اللّغة.

لقد عقدت اللّغة مع الكيان علاقات صعبة. فظهور الإضمار دالّ على عراقتها في الكائن. لقد تدرّبت اللّغة طويلا على أنْ تكون أداة تدليل على الكيان. ففعل الكون شرطه هو اللّغة، والكينونة ممثّلة للّغة وممثَّلة بها.

وجعل الشّعر اللّغة مفرطة في عدم الأمانة في قول الأشياء وهي تتفرّس طاقتها التّعبيريّة، لكن كيف يتأسّس المعنى الشّعريّ، هذا المعنى غير التّمثيليّ مكتفيا بذاته خارج إكراه الاصطلاح ؟ إنّ الشّجرة في الشّعر ليست الشّجرة والموج ليس الموج في قولنا : شجر الموج. يبدو هذا الأمر للمتورّطين في التّصوّر البيانيّ التّمثيليّ لغوا. **ليست لغة الشّعر إعلانا عن وجود. فالأشياء لها وجود خاصّ. والكلمات لها**

وجود خاصّ. ولو عزلنا كلّ الكلمات عن كلّ الأشياء لوجدنا أنّنا نفقد الصّبغة التّمثيليّة للكلمات دون فقدان صبغتها الشّعريّة والنّحويّة أيضا. فبإمكاننا أن نركّب كلاما لا معنى له رغم أنّ معاني الكلمات ممكن التّحصيل، مثل : لعب الفجر الكرة، فهذا الكلام لامعنى له، أي لا يبني نسقا ممكنا. وكثير من التّراكيب لا تؤدّي إلاّ إلى هذه الإحالة، غير أنّها ممكنة نحويّا. فلعب والفجر والكرة كلّها عبارات لها صبغة تمثيليّة. وليس لها بعد تأليفيّ يجعلها خطابا. **إنّ التّركيب لا يكفي لإنجاز جمل دالّة، رغم أنّ الكلمات دالّة.** ولا يمكن أن نوزّع الكلمات على سلسلة التّركيب ليكون ذلك بلاغة. فما الّذي يجعل المعنى الشّعريّ ممكنا ؟

إنّ تمثيلين إثنين لا يؤلّفان مجموع التّمثيلين، مثل : الشّجرة لعبة، فكون الشّجرة لعبة وجود آخر متخيّل يرى فيه القائل الشّجرة شيئا آخر غير ما تمثّله في الاصطلاح. ولذلك ليس فعل الشّعر فعل كسر لقواعد التّمثيل بل فعل تأليفيّ خارج عن تمثيليّة اللّغة.

ويبدو لي أنّ اللّغة ليست أكبر أو أصغر من الكيان هي شيء آخر منفتح غير قابل للقياس. فربّما كان هذا الكيان الّذي نحمله هو نفسه أصغر ممّا كان يمكن أن يكون عليه وأنّ حجمه أمام الكون ومجهولاته وغيوبه ليس شيئا ذا بال. واللّغة هي الموضع الّذي يتجلّى فيه الكيان. وهي الأفضل من بين أجهزة العبارة لتمثيل صور الكيان.

وإنّ الكلمات تسمّي، أي تخصّص وتعيّن. فالأسماء واقعة على الأشياء، راتبة عليها، تمثّل كلّ كلمة شيئا، وكلّ إسم يضع المسمّى تحت تصرّفه. فهل كان ممكنا أن نعبّر بالأسماء عن الأشياء دون إسناد وربط ونحو ؟ **إنّ اللّغة تضيع انسجامها التّمثيليّ في الخطاب وتضيع انسجامها الدّلالي في الشّعر.** وإنّ التّركيب بنظام التّرابطات والبلاغة بنظام الرّموز والشّعر بنظام الإيقاعات والتّخييلات تضع كلّها للخطاب شروطه الخاصّة ؛ هذه الشّروط الّتي تجعل اللّغة موضعا آخر للمحتمل.

هناك قدر كبير من الإحاطة بالصّفات ونعت الأحوال في التّسمية. ولقد بقي معلّقا تصوّر أنّ العلامة **لو كانت دلالتها تحيط بالشّيء لما تغيّر معناها في التّركيب ولما حُوّلت إلى المجاز.** فاللّغة لم تحلّ محلّ الأشياء. فحينما تدخل الكلماتُ التّركيب تفقد بعض ما كانت تشير إليه. وفي اللّغة مازلنا نسمع حفيف الأشياء.

لكن علينا أن نعلم أنّنا نتكلّم لغة جهّزها النّاس من قبلنا وأودعوا فيها حلمهم وخوفهم. والشّعر يريد إفراغ هذه اللّغة من حساسيّاتها القديمة وإعادة وضع الأسماء على الأشياء. وفي الشّعر تاهت اللّغة، تاه التّمثيل. وعلينا أن نتفرّس المدى البلاغيّ للكلمات.

ولقد انقلبت في شعريّة الحداثة كلّ تجربة العرب مع اللّغة والبلاغة والمعنى ؛ هذه التّجربة الّتي طالما اعتقد العرب فيها أنّ اللّغة تتكلّم.

وإنّ نظريّة التّعيين قد زالت لفائدة البعد الشّعريّ. وإنّ الكلمات- بناءً على سياسة التّسمية الّتي تؤدّيها – لم تتوقّف عن اكتساب امتدادات جديدة. فنحن لا نستطيع أن نفكّر في كلمة معزولة عمّا تمثّله إذا وقعنا في التّجربة القديمة مع اللّغة. والإسم لا يعبّر عن الشّيء. والشّاعر يلعب مع اللّغة ؛ إنّه يذهب إلى حيث تنزع الكلمات أشياءها . فيتلاشى التّعيين ويختفي.

وإنّ هذا الفضاء المحيط بالإسم الّذي أطلقنا عليه البلاغة رفض حيّز الإسم. فالبلاغة هي الصّور اللاّمحدودة للرّغبة. وإنّ الفكر اللّغويّ القديم كلّه يذهب من صورة الشّيء إلى الشّيء ثمّ يصير الإسم مادّة محيّرة. فالأشياء كانت تجد إشباعها في الكلمات. **وصارت الكلمات تقال من أجل ذاتها ولم تعد الأشياء تقول شيئا للإسم.**

وليست غايتنا في هذا المقام أن نقيم بيانا لما استطاع العرب أن يبلغوه في تفكيرهم حول اللّغة، بل يهمّنا أن نسأل في أيّة شروط تغيّر تصوّرنا للّغة ؟ إن دريدا، منذ أن وضع عنوان كتابه **الكتابة والاختلاف**، ألغى من الدّرس الكتابة والتّشابه. وأسّس هذه العلاقة الجديدة. فلم يعد همّنا إسناد الأسماء إلى الأشياء. فالحضارة العربيّة الإسلاميّة قد سمّت نفسها. وقد شرع اللّسانيّون منذ عقود في كتابة تاريخ الاختلاف. فالفكر القديم كان يريد التّقريب بين الكلمات والأشياء. والفكر اللّسانيّ الحديث غيّر حقل التّجارب.

ولقد حدّدت اللّغة نمطا من الوجود. لكن هذه الخطاطة انحلّت وتفكّكت ونشأ نمط كينونة جديد. وهدّم الكيان اللّغة الّتي طالت إقامته بها، وهذا الأمر بحاجة إلى تحليل ؛ إلى تحليل دقيق. **ففي الحضارة العربيّة الإسلاميّة كانت فكرة أن يتوارى**

المعنى وراء اللّفظ فكرة مرفوضة. والخفاء لم يكن مطلوبا لذاته. وإنّما خرّجوا نحوا من الخفاء يُراد به إحداث الشّوق والاستغراب في كيان المتلقّى دون فقدان سند الإبانة.

وقد أحدث **النّظام الرّمزيّ الحداثيّ رجّة في تاريخ الدّلالات**، إذ أنّ البعد التّمثيليّ فقد القدرة على أن يؤسّس تواطئا جديدا، فلم يعد بإمكانه أن يُنتج الدّلالات في حياة الكائن.

وإنّ بناء المعنى في الشّعر قد غيّر طرائق العبارة عن الكيان. فمتطلّبات الكيان وهوسه وجنونه وغضبه وسعادته ومآسيه اقتضت لغة جديدة بما هي أشكال غير مألوفة من العبارة. **وقد أنطقت اللّغة الكيان.** ففقد تلك الحالات الّتي تبدو ما قبل لغويّة . لكنّه انقال بصور وأخيلة ورموز تكوّن نظاما للمعنى.

وحتّى إن كان الكيان أكبر من اللّغة ، رغم الرّمز والصّورة والتّخييل فإنّ هذه العناصر جعلت الكيان ينطق عمّا يضجّ به. والكيان شيء من هذا النّسق الرّمزيّ الّذي صار عبارة ، إلاّ أنّ في الكيان شيئا مجهولا لم نستبنه ، وربّما هو لم يحدث بعدُ. وقد لا نستبينه أبدا.

خاتمة الباب الخامس

متواليات الانسجام / متواليات الاختلاف

إنّ الخطاب النّقديّ يمارس سلطته ويحاول أن يحجب تلك السّلطة. فمن فرط حضوره يبدو كالغائب، فلا يهتمّ إلاّ بحقل رؤية يطمس المهمّش والمحتجب. ولنظريّة النّقد نفسها استراتيجيّات حجب وخداع ومخاتلة.

وإنّ النّظريّة تبني عالما مفهوميّا. لكنّها لا تجترح المختلف والغريب واللاّمتوقّع، هذه الأمور الّتي يشتغل العقل على أساسها. فالنّصّ شروطه خفيّة وتاريخيّته غائبة وكيفيّات تشكّله مجهولة. والنّصّ يبني المختلف والمتعدّد لاسيّما نصوص الشّعر من حيث هي موضع غواية وفتنة ومتعة، إلاّ أنّ النّقد يتعامل مع النّصوص الشّعريّة على أنّها تشكيلات خطابيّة تتقارب بُناها وأنظمتها. فيطلب نظام الخطاب الشّعري من حيث أنّ النّصوص تمارس خداعات متماثلة في عديد الوجوه وهي تتشكّل وتجري تقنيّات بلاغيّة متقاربة.

وإنّ نظريّة النّصّ، اليوم، لم تعد تتأتّى من علوم البلاغة. وإنّما انفتحت على علوم الإنسان. فالنّاقد لم يعد ناقدا أدبيّا بصورة حصريّة ؛ لقد صار مفكّرا وممتلكا رؤية للعالم. وإنّ إحداث أنظمة مفهوميّة قد يشرح الإشكال. لكنّه يقدّم لنا صورة نظريّة عن النّصوص. ولذلك فإنّ تغيّر المناهج والطّرائق والمفاهيم وتعدّدها يدلّ على هذا الثّراء الّذي عليه النّصّ، لكأنّه يغيّر معانيه وأسماءه باستمرار مع كلّ منهج.

وليس الشّرح والتّفسير إلا طلبا لمقاصد يُعتقد أنّ المؤلّف قصد إليها، فَهُمَا تعقّب لمراد المؤلّف بينما التّأويل هو قراءة الاحتمالات للوقوع على معنى. وأمّا التّفكيك فهو لا يلتفت إلى هذه الاحتمالات وإلى المؤلّف. وإنّما يهتمّ بما لا يقوله الخطاب. فهو اشتغال على ما لا ينكشف.

ونحن نريد لهذا البحث أن يكون حديثا من حيث الأسئلة الّتي يبنيها والإشكاليّات الّتي يصوغها ونبتغي أن نضع موضوع اللّغة والكائن في مقام جديد بدراسة طرائق انبناء المعنى في الشّعر العربي في هذا الأفق الشّامل بدرس الشّعر بما هو أدقّ مجال لاشتغال المرء على ذاته.

وإنّ دراسة علاقة احتمالات الكيان بطاقات اللّغة وضعت سياقا إشكاليّا دقيقا لدرس ثلاثة مواقع مختلفة : أوّلها الاشتغال على الشّاعريّة للوقوف على الشّعريّة وثانيها الاشتغال على الشّعريّة لتحديد الشّاعريّة وثالثها تبيّن مراتب التّفاعل بين الكيان واللّسان حتّى نختبر من كلّ ذلك صور التّفاعل العميقة في التّحديث الشّعريّ.

إنّ الشّعر صورة من القائل لا من فنون اللّغة وتصاريفها. وهذا سبب اشتغالنا على النّصوص ولهفتنا على الإحاطة بكلّ الإنتاج الشّعريّ ؛ نريد أن نرى في النّصوص ما تحجبه الإلفة والعادة. فالتّغيّر العميق تقوله الكتابة لا النّصوص المؤوّلة لها.

وإنّ التّحوّلات العميقة في النّصوص ليست مظهريّة لا تمسّ أصول الكتابة. فأنْ يقول شاعر كلاما يخرج عن الطّريقة فإنّ هذا،وإن لم يؤسّس لطريقة جديدة ولم تظهر تجلّياته في الكتابة بصورة بارزة وحاسمة، يدلّ على هذه الحركة الطّموحة لإعادة رسم الأشكال وبناءالمعنى. فهل يمكن القول إنّ اللّغة انفصلت تماما عن التّعيين ؟ يصعب القول بذلك إذا لم نفكّك كلّ الأبنية العميقة المكوّنة للتّحوّلات الكبرى في أشكال الكتابة.

إنّنا، من فرط الاشتغال على إشكاليّة القدم والتّحديث توهّمنا أن المنهج الواحد هو المنهج الوحيد. كذب المؤوّلون ولو صدقوا. وأنا أوّل من يقترف الكذب بهذا التّأويل. فهناك مناهج أخرى للوقوع على التّاريخ السّريّ الدّاخليّ للنّصوص. فإمّا أنّنا داخل شعريّة واحدة بمختلف أطوارها وإمّا أنّنا إزاء نصوص جديدة وإن جمعها مع عمود الشّعر إسم الجنس، فإنّها مختلفة في مقاماتها وأشكالها ووظائفها.

إنّ الأمر يتعلّق بتاريخ الشّعر في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة الّتي خرجت من مرحلة مرنة منفتحة كثيرة الاحتمالات إلى إكراه الاختلاف على المثول أمام سلطة الواحد. **فتغيّر الأشكال يعني قدرة الاختلاف على كتابة نصوصه**. والتّحديث عبّر عن التّعارضات القائمة في كيان الإنسان الحديث مادام التّنازع إنّما هو حول أصول الكتابة.

وعلينا أن ندرك كيف نظرت هذه الثّقافة إلى نفسها وكيف يمكن أن ننظر إليها ونحن محمّلون بنزعات ورؤى أخرى نريد أن نرى ما وراء هذه التّجارب من أصول وسنن. ففي أيّ أفق يمكن للإنسان أن ينزع عنه الهيئة القديمة من الكينونة ويكون ؟

خَاتِمَةٌ

هذه لغة تحيّرت عقولهم فيها .

العسكري

كتاب الصّناعتين.

وما مثلي فيما مهّدته لك من هذه الطّريق إلاّ كمن طبع سيفا ووضعه في يمينك لتقاتل به. وليس عليه أن يخلق لك قلبا . فإنّ حمل النّصال غير مباشرة القتال.

ابن الأثير

المثل السّائر.

لقد جعلنا من الشّكل الشّعريّ مدخلا إلى درس المعنى. وبتدبير هذا المجال استبانت لنا أمور كثيرة. منها أنّنا نجد ثلاثة فضاءات كبرى لحدوث المعاني الشّعريّة وأشكالها. هي زمنيّة القدم وزمنيّة التّوليد وزمنيّة الحداثة.

وبمباشرتنا هذا الموضوع وجدنا أنّنا إزاء مسالك منهجيّة عديدة. وبدا لنا - بعد تفكير طويل في هذا الأمر وتجريب مناهج كثيرة - أنّنا بين أمرين : إمّا أن ندرس الشّعر العربيّ انطلاقا من الخصائص المختلفة لبناء المعنى، وهذا المدخل البلاغيّ لا يحصر النّتائج في أصناف ممكنة التّحديد لوفرة الأشكال وشدّة اختلافها وإمّا أن ننطلق من استقراء الشّعر. فرأينا أن نضع بابا لتصور العرب لبناء المعنى ابتدأنا به. ووقفنا، بعد ذلك، على ثلاث مواقع لانبناء المعنى هي : بلاغة القدم وشعريّة التّوليد وجماليّات الحداثة. ولمّا ذهبنا في ذلك تحليلا وتأويلا انتهينا إلى باب نظريّ فيه انطلقنا من تصوّر النّقّاد القدامى للشّعر إلى آخر النّظريّات اللّسانيّة والتّداولية في اعتبار هذه الظّاهرة. ومكّننا ذلك من نتائج بارزة أفضى إليها هذا البحث، أهمّها أنّ المعنى الشّعريّ في بلاغة القدم تكوّن في فضاء خارج القائل. وليس ناتج تجربة عميقة مع اللّغة وأنّ مسالك التّجوّز في العبارة كانت محصورة مطروقة تبني المتماثل في الأشكال والمعاني وأنّ المعركة بين القدماء والمحدثين، وهي معركة حول المعنى وتشكيله، نبّهتنا إلى تغيّر نسقيّ عميق في بناء المعنى الشّعريّ وأنّ التّشبيه صاغ عمودا للبلاغة. فهو أهمّ طرائق بناء المعنى في الشّعريّة القديمة إذ التّشبيه علامة على مكوّنات شكليّة لهذه الشّعريّة وأنّ المشابهة ضرب من بناء المتماثل في البنية الثّقافيّة. فبناء تأسيس بلاغيّ ولغويّ مختلف عن بلاغة القدم باب للتّحوّلات العميقة في نظام الكتابة لأنّ كلّ كتابة جديدة هي قراءة أخرى للمحتمل البلاغيّ والتّصويريّ. فلقد حاصر التّنظير القول الشّعريّ. لكنّ الكتابة نفسها كانت تضايق التّنظير وتتحدّاه. وإنّ للمجاز سندا في الحقيقة حتّى يكون ممكنا في التّواصل. فقد أسّس البديع ذوقا جديدا وشكلا حادثا من الإمتاع. وإنّ في الإحداث ظلاًّ من القدم وفي القدم نزوعا إلى الاختراع. فالبلاغة القديمة هي بلاغة المتوقّع وبلاغة البيان.

وإنّنا لم نجد في الدّرس النّقديّ الحديث مصطلحات ذات نفوذ نظريّ لدرس الشّعر. فالنّقد قد أخرج المعنى من كيان القائل وألقى به في البنى والأنساق. وإنّ

مشروع الحداثة الشّعريّة أشعرنا بعدم التّناسب بين شكل العبارة من جهة وشبق تجربة المبدع الخارجة عن الضّوابط من جهة ثانية. فلقد صار المعنى الحديث بعدا تكوينيّا من أبعاد التّدلال وانسجام الخطاب. وتغيّر فضاء إنتاج المعنى والصّورة وتقلّص إنتاج المتشابه. فخطاطة النّصّ الحديث حرّرت الكائن من البلاغة. وصارت الكتابة الحديثة حفر أنساق وبناء رؤى. إنّ التّحديث تغيّرٌ عميق في الكائن وفي معنى الإنسان. فلقد أربك التّرميز الحديث علاقة الأسماء بمسميّاتها لأنّ البلاغة أوسع من سياسة البلاغة والكائن أكبر من اللّغة. **وبذلك نقف على لاكفاية نحو النّصّ ولسانيّات الخطاب وانسجامه ومتوالياته لتفسير أمر الشّعريّة.**

فلماذا تكلّفنا البحث في انبناء المعنى في الشّعر العربيّ في هذا المجال الّذي خبره الأصمعي وأبو عمرو بن العلاء والجرجاني وقدامة بن جعفر؟ هل في مقدورنا أن نفكّر في مقام نظريّ مختلف عنهم؟ لقد كان ذلك بعضا ممّا أردنا من هذه المساهمة. فنحن **نطمح إلى رسم إطار عامّ لنظريّة المعنى بتتبّع التّكوّن النّظريّ لرؤية شاملة حول اللّغة والمعنى والمجاز.**

وإنّ غايتنا هي أن نظفر بمدخل حاسم ومنهج دقيق لعرض مشاكل تتعلّق بنحو الشّعر. لقد وجدنا أنفسنا محمّلين بالإشكاليّات والقضايا من المعنى حيث كان يسكن في سنّة وعمود إلى الأفعال الإنجازيّة ونظريّة أفعال الكلام حيث تغيّرت استراتيجيا الخطاب الشّعريّ. فالأسماء لم تعد راتبة على معان مقرّها النّفس. وإنّما صار المعنى نحويّا، بمعنى كونه يتشكّل في النّحو وبالنّحو ويحتمل معنى. فحدوث المعنى وحدوث الشّعريّة لا يقعان خارج فضاء التّلفّظ.

وقد فكّرنا في بلاغة الشّعر. واهتممنا بالمعنى وهو يولد في قصائد الشّعراء. واختبرنا الطّرائق الّتي ينتقل فيها المعنى من مولود بكر طريف إلى قوانين النّقّاد وسلطتهم وما يريدون له من طقس ومقام ووظيفة.

وإنّ سؤال الشّعر عليه أن يتحرّر من سلطة النّقّاد عليه، هؤلاء الّذين يحاصرون ما يشتقّه الشّعراء من أكبادهم بما وضعوه من المقاييس الصّارمة والمعايير الملزمة.

وليس من اليسر أن نمتلك أدوات منهجيّة وطرائق بحث كفيلة بأن تمكّننا من قراءة الأطلال والقصيدة التّشكيليّة معا. فما نفع الجاحظ والآمدي والجرجاني لنا؟

هل سنبقى نقرأ على وتيرتهم ونذهب حيث ذهبوا؟ إنّ مقام القراءة قد تغيّر. وصرنا مجهّزين بنصوص ومناهج أخرى من أسلوبيّة ولسانيّات وتداوليّة. وليس من همّنا أن نعيد إنتاج الآراء القديمة في الشّعر إلاّ من حيث تبني مقام السّؤال لدينا الآن وهنا. وليس ذلك بمعنى افتقاد هذه الأسئلة وجاهتها. وإنّما عدم صلوحيّتها لتكون الأسئلة المطلقة حول الشّعر. فقد تغيّرت علاقتنا مع النّصوص القديمة لتغيّر زادنا النّظريّ.

وإنّنا، في هذا الاختصاص الّذي يذهب معه أجمل العمر، جعلنا نصّ الشّعر صناعة لنا. وصاحب الصّناعة يتعهّد أدواته بالعناية باستمرار. فلقد بقيَ الدّرس الشّعريّ واقعا في فلك الشّرّاح القدامى الّذين شرحوا حاجاتهم مع النّصّ وما انغلق عليهم وهم لا يخرجون عن الخصومات القائمة آنذاك. **وعلينا أن نخرج بلاغة النّصّ الشّعريّ القديم من نفوذ المفاهيم القديمة وأن نقرأ التّحوّلات العميقة في تركيبات النّصوص وتأليفاتها**. ولذلك بنينا مستويين كبيرين لبلاغة هذه النّصوص هما بلاغة القدم وبلاغة التّوليد حتّى نقع على المظاهر الحادثة في الشّكل الشّعريّ.

ولقد استقرّ لدينا الرّأي بأنّ من يريد درس شعريّة القدم عليه أن يضطلع بالشّعريّة الحديثة. فليس الاختصاص معرفة نصوص والانغلاق في مرحلة. وإنّما أن نطلّ على تلك المرحلة من مواقع عديدة ونصوص مختلفة.

فلماذا أنجزنا هذه الأطروحة؟ وبأيّ صورة ساهمنا في دراسة انبناء المعنى؟ وما الّذي حصّلناه بعد هذه الرّحلة الطويلة المضنية والممتعة؟ وما هي الأخبار الّتي سنأتيها بعدما زُوّدنا بنصوص كثيرة؟

لقد أردنا بناء مقام جديد للدّرس الشّعريّ بكلّ نصوصه ومناهجه والأسئلة الّتي يبنيها. فانتهينا إلى أنّ الشّعر كان يتطوّر من الوصفيّة الّتي بنت الغرضيّة والحكمة إلى التّشكيل التّخييليّ والرّؤياويّ ومن فضاء المشابهة، وهو فضاء بيانيّ، إلى فضاء الاشتباه وضياع المعنى في شبكة من الرّموز.

وقد كشفنا عن الأصول المتحكمة في هذه التّحوّلات في تاريخ الأشكال الشّعريّة وشرحنا نفوذ الأصول البنائيّة القديمة على إمكانات الكتابة. وقد جعلنا من الباب الّذي وسمناه بسياسة المعنى : في نظريّة الكتابة وجها دقيقا لتدبّر النّظريّة الشّعريّة. وقد قسّمناه قسمين : في سياسة البيان وفي سياسة البلاغة. ففي القسم الأوّل

بحثنا في سلطة البيان على الشّعريّة العربيّة وتأوّلنا الإشكاليّات النّظريّة في البيان العربيّ وعلاقته ببناء المعنى في فضاء الفهم والإفهام وما نشأ عن ذلك من نظرة شاملة للّغة والمعنى والمجاز. **وحاولنا في مبحث : نفوذ البيان على المجاز إيجاد شبكة استقصاء جذريّ للإشكاليّات الّتي بناها هذا النّفوذ بدرس هيمنة الحقيقة على التّواصل.** ونظرنا في مسالك التّجوّز وطرق الانتقال من الحقيقة إلى المجاز.

ودرسنا سياسة البلاغة. فبدأنا بسياسة المعنى في التّراث البلاغيّ. وشرحنا وضع المعنى في ثقافة العرب وطرائق سياسته والبرهان على جودته وتبيان أجناسه وأشكاله وطبقاته. وثنّينا بتاريخ المجاز وتأسيس علم البلاغة والاستدلال على المزيّة وجهات التّجوّز ودواعيه. وثلّثنا بحدود بلاغة الشّعر لنقف على المحتمل البلاغيّ لإنشاء المخاطبة الشّعريّة.

وقد بحثنا في شعريّة الطّلل وتأسّس البعد الوصفيّ في الشّعر لقرابته من العلامة ومن الأشياء. وفكّرنا في أصول العمود وكفالة السّنّة للطّريقة وما بناه النّقّاد من تصوّرات نظريّة عن الأشكال والأساليب والمجازات. فدقّقنا النّظر في مسالك بناء المشابهة في شعريّة القدم. وتأوّلنا الكيفيّات الّتي صاغ بها التّشبيه عمود البلاغة، بما هو منوالات لقول المعنى وقاعدة للكتابة وصور للتّشكيل والصّياغة. وأرّخنا لإيقاعيّة القدم وسياسة الإيقاع والأصول المكوّنة له ودوره في إحداث تحوّلات شكليّة ومعنويّة في شعريّة القدم.

وانتهينا إلى **أنّ القدم انبنت له أشكال في فضاء المشابهة. وهو فضاء بيانيّ رسخ فيه الوصف أسلوبا لقول الكيان والكون.** وبيّنّا أنّ المعنى لم يكن نداء عميقا في الشّاعر. وإنّما هو ينطق بصوت القبلية فيه. ولذلك غلب الوصف على الشّعر.

وتدبّرنا أمر المعنى وتحوّلات الأشكال بدرس شعريّة التّوليد. فقرأنا النّزعات العميقة لتغيير أشكال العبارة واختراع المعنى وتغيّر مقام اللّذّة وظهور منوالات جديدة لقول المعنى. وشرحنا نفوذ الأصول البنائيّة القديمة على القصيدة وغلبة السّنّة على سياق الإحداث واسترسال المنوال رغم منازع تغيير الرّسم وانتساخ السّنّة. ووقفنا عند استنكار الوقوف بالطّلل وجها من النّزوع إلى إحداث تغيّر شكليّ وبلاغيّ في القصيدة العربيّة. وجعلنا اللاّشعريّة مدخلا إلى فهم الشّعريّة. فاستدللنا

على اللاّجمال واللاّشعر ومراتب اللاّشعريّة ووجوهها وأشكالها. وبحثنا في أسس منطقين متلازمين في قراءة الشّعر: بناء تصوّر للبراعة على الطّبع وإقامة الجودة على الصّناعة وأثر ذلك في المصطلح النّقديّ والبلاغيّ ثمّ أرّخنا لمولد البديع في البلاغة العربيّة. وتعمّقنا انقطاع الطّراز واستحكام الصّنعة وبناء مستويات مخاطبة شعريّة جديدة وتغيّر منطق إنتاج المعنى والصّورة ومغالبة السّنَن بالاختراع والابتداع. ونظرنا في متخيّل التّوليد والممكن التّخييليّ الّذي طوّر هذه الشّعريّة. واهتممنا بتطوّر العبارة بين الكلف بالمعنى وطلب تصاريف القول وما ينشأ عن ذلك من أسباب الحسن والمزيّة. وإنّ التّحوّلات التّصويريّة مبحث أردنا به رؤية الأشكال الحادثة في عبارة العرب وما نشأ عن ذلك من تطوّر في النّظريّة الشّعريّة. وأقمنا فصل ابتداع المعنى على قراءة طرائق بناء الصّور وأسس الإحداث ومسالكه وبلاغاته. ووجّهنا النّظر إلى اختراع المعنى والفوز بصور مبتكرة له وبناء طقس آخر لحدوث المجازات. ولقد انتهينا إلى أنّ **كيان القائل قد تغيّر. فجرّ تغيّرا عميقا في البلاغة الّتي تقول هذا الكيان. فقد ظهر محتمل بلاغيّ جديد. فتغيّرت طرائق انبناء اللّغة في الكيان.**

ووجّهنا بحثنا وجهة أخرى صوب الحداثة الشّعريّة بما هي زمنيّة أخرى. وبنينا تصوّرا منهجيّا لقراءة النّصّ الحديث. وتأوّلنا سياسة الإيقاع. واختبرنا دور البعد الإيقاعيّ في تحديث الشّكل الشّعريّ وما نشأ عن ذلك من تغيّر في منطق القراءة ومسالك تلقّي القصيدة. وقد أردنا وضع مخطّط دقيق لبناء تصوّر حول دور البنية الإيقاعيّة في التّغيّرات الّتي بلورت أشكال البناء الشّعريّ. **وطموحنا في ذلك صياغة رؤية منهجيّة حول التّاريخ الجماليّ لشعريّة الحداثة.**

وقرأنا تصويريّة الحداثة، **مسعانا في ذلك تكوين خطاب نظريّ حول الصّورة وتشكيلها. وإنّ التّجريب الحداثيّ قد حوّل الصّورة من مقام الغرض إلى الفضاءات والطّقوس الّتي يتحرّك فيها المعنى. فتغيّرت بنية التّدلال. وصارت البلاغة «بلاغة الاشتغال الفضائيّ في النّصّ»[1] فقد تحرّرت البلاغة من اللّغة في القصيدة التّشكيليّة. وصار فضاء التّشكيل فضاء تجريب أشكال. وصارت القصيدة تشتغل**

---

(1) محمد العمري، **البلاغة العربيّة ، أصولها وامتداداتها**، بيروت والدّار البيضاء : إفريقيا الشّرق، 1999، ص ص 301 - 318.

بحضر أنساق ورؤى جديدة. وإنّ الحداثة تغيّر عميق في الكائن وفي معنى الحياة.

وانتهينا إلى نظريّة النّصّ. فدرسنا متواليات انسجام الخطاب ولسانيّات النّصّ وأثر نظريّة أفعال الكلام في إنشاء النّصّ وتكوينه ولاكفاية الصّورة والإيقاع والمعنى لشرح أسباب الحسن. وقد جعلنا الدّرس في ثلاثة وجوه من نظريّة اللّغة هي : نظريّة المعنى ونظريّة البلاغة ونظريّة الشّعر. فانتهينا إلى أنّ الشّعر يحدّ من البعد التّمثيليّ في اللّغة ويوسّع آفاق التّدلال. **فالشّعر لغة بعد اللغة أخلّت بمبدإ التّعيين لتبنيَ إمكانات تخييليّة جديدة في النّظام العلاميّ وفي الكيان الإنسانيّ.**

وإنّنا لمّا شرعنا في هذا المبحث كنّا نحمل أسئلة وهواجس وإشكاليّات، كان مقصدنا أن نختبرها في مقامات مختلفة وأن نفتح تأويلات جديدة وربّما نضع نظريّة للمعنى. وإنّ كثيرا من الأسئلة نشأت لمّا تدبّرنا إشكاليّاتنا في مقامات عديدة. وإنّنا – وإن لم نفكّ ما التبس من هذه القضايا – وضعنا إشكاليّاتنا في مقام نظريّ ومنهجيّ جديد. **فقد صارت الإشكاليّات محمّلة بأكثر حيرة ومجهّزة بنظام مفهوميّ أدقّ ومنفتحة على تصوّرات ورؤى أبعد وذاهبة في مسالك تحليليّة أعمق. وذاك شأن البحث؛ أن يفوز بنضج في الرّؤية وأن يحقّق للنّظر طورا آخر.**

لقد قطعنا هذا المسار الطّويل بيقظة جارفة. وقرأنا نصوصه بعين نظور وسمع مرهف، نطلب إشكاليّة طرائق بناء المعنى في شتّى التّصانيف والاختصاصات والألسنة.

وإنّ هذا العمل نريد به صنع مقام للتّفكير في بلاغة العرب وفي النّظام الرّمزيّ الّذي تمتلكه شعريّة العرب أو يحتمله اللّسان.

وإنّ على الباحث أن يتفرّس، بعد هذا الجهد، ما أنجز وأن ينقد هذا المسار ويضع خطّة لما انتهى إليه حتى يتبصّر أكثر بما هو مقبل عليه من السّبيل.

وإنّ السّؤال الأساسيّ الّذي به ابتدأنا بحثنا هو كيف تتحوّل السّنّة المشتركة إلى ابتداع مخصوص؟ وكيف يُنشئ الشّاعر صوره من بلاغة عامّة؟ إنّ هذا الدّرس أسلمنا إلى كثير من النّتائج ومن الشّكوك.

– الشّكّ في كفاية اللّغة لقول الكون لأنّ إحاطة العلامات بالمدركات غير ممكن. فقد بقيت كثير من الأشياء ومن الحالات خارج العبارة اللّغويّة.

- الشّكّ في كفاية الصّورة ونحو النّصّ وانسجام الخطاب لتفسير أصول الإبداع.

- الشّكّ في أنّ الشّاعر هو منجز القول مادامت اللّغة أنظمة مقوليّة ومحلاّت إعرابيّة.ولكلّ إعراب - بمعنى إفضاء بشيء نُعرب عنه - محلّ لقوله. فالمحلاّت سابقة على المتكلّم وعبارته.

- الشّكّ في ميتافيزيقا العبارة عند العرب وطرائقها في قول الكون.

وقد استبان لنا أنّ الشّعر أفسح أبواب الكيان. والكيانُ قد تغيّر فجرّ تغيّرا عميقا في الشّكل الشّعريّ المعبّر عنه. وإنّ إنشاء النّصّ وتكوينه صورة من وضعيّة الكائن.

وليس من شأن الخاتمة القطع والجزم. وإنّما هي نظرة نختبر بها صلابة البناء الّذي عليه أقمنا تفكيرنا. وإنّنا نريد، بهذا المنهج الجديد في التّأريخ، أن ندرك طرائق الإبداع الشّعريّ وأن نكشف عن أسراره. **فالتّحليل، إمّا أن يستند إلى خطاب نظريّ أو أن ينجزه ويؤسّس له. وإنّما كم يتاح لنا أن نشاهد خواء التّصوّرات النّظريّة معزولة عن التّحليل النّصّيّ**. فهذه الأمور صارت ممجوجة لكثرة ما تناولتها الألسن. وقلّما نظفر بتصوّر دقيق عنها. فمداخل التّعامل مع النّصوص عديدة، منها : القراءة والتّحليل والتّأويل. وهي كلّها إمكانات واتّجاهات في الفهم. والدّراسة تَلاَقُحٌ بين المكتسبات النّظريّة ومناحي التّحليل. **وإنّ كلّ تحليل يحمل النّصّ إلى منظور مّا ويكسبه أبعادا ويمنحه شكلا آخر وامتدادا جديدا.**

وإنّ ما ننتهي إليه من النّصوص ليس دائما واضحا ومنهجيّاً. فبعض الأفكار أوضاع واحتمالات عامّة. وبعضها بلغ درجة عالية من التّجريد. وبعضها بصدد التّكوّن. وإنّ من يفكّر يكتنفه ليل من الشّبهات المزعجة.

· وإنّنا عُنينا في هذه الأطروحة بالإواليّات أثناء اشتغالها. وحاولنا أن نحيط بتاريخ شعريّةٍ وأن يصير بإمكاننا أن ندرس مجاز الشّعر ويصير لنا نفوذ مفاهيميّ عليه.

وانتهينا إلى آنّ البحر والقافية والمعنى والغرض مكوّنات واضحة للشّعر. لكن نجد تأليفات تحار فيها العقول العالمة وتخفى على العالمين بأسرار التّكوين. فهناك مناطق في الشّعر ستظلّ لوقت لا ندري له نهاية خفيّة سرّيّة لأنّها لا تقوم على فنون الكلام، وإنّما لها بالمزاج وقوى النّفس صلة. **فالشّعر هو الفكر يأتي إلينا متنكّرا.**

وإنّ هذا الشّعر الّذي هو شيء منّا ومن تاريخنا ومن حضارتنا له سلطة على قرّائه بالفتنة الّتي يحدثها وبما يبعث من الحياة. فهل يمكن تنظيم الإلهام الشّعريّ في قواعد واتّجاهات وفق رؤية للعالم؟ أين كان يوجد الشّاعر القديم؟ أين تقيم لغته؟ أين يقع خياله منه ومن التّاريخ؟ إنّ الشّاعر لا يهجر ذاته ولا يتمرّد على الحضارة الّتي جعلته وجعلت شعره ممكنين. إنّه يعير صوته للقبيلة. **وإنّ الإبداع يجعل اللّغة تكشف أسرار الأشياء وتكتشف نفسها**. وقد تطوّرت الأبنية البلاغيّة والتّخييليّة. فهناك نظام يتحكّم في كلّ اكتشاف. والشّاعر، قبل أن يبتدع، مطالب بالبناء على نظام سابق.

وإنّ مشاقّ هذا التّفكير طوّرت هواجسنا النّظريّة والمنجهيّة. فسعينا إلى رصد أصول الإبداع الشّعريّ في القصيدة العربيّة وبلاغة أشكاله والأصول المتحكّمة في مبانيه ومعانيه.

فهل وفّينا هذا المبحث حقّه من التّمييز والتّدبير بما رسمنا في كتابنا هذا من الغاية؟ لقد أدمنا الفكرة في تحوّلات المعنى، حلّلنا وأحصينا وأوّلنا ونظّرنا. فهل بلغنا الغاية في بناء تصوّر عن التّحوّلات العميقة في حياة المعنى؟ **لقد نقلنا كثيرا من الإشكاليّات من مقام إلى مقام**. وكم يعزّ على المشتغل على الجمال والحسن واللّذة أن يقع على الرّأي الصّارم. **ومتى تأتّت له الصّرامة في صفة تخوّتها التّحليل والنّظر**. فالدّارس يغشاه ضرب من الفتنة بما يدرس. إنّه لا يحلّل مكوّنات كيمياويّة لا تهتزّ لها النّفس ولا معادلات رياضيّة ماذا يُقال عنه لو وقع في غرامها. فهو في مجال الجمال والفتنة، يعشق مع الشّاعر العاشق ويفخر مع الفارس يتمدّح بشجاعته وتهتزّ نفسه لبلاغة الحكم وعذوبة الكلام. **وكلّما أراد أن يسوس الكلام بالمصطلح وأن يتلقّاه بالنّظر فَقَدَ البحث شطرا حاسما من إمتاعه ومؤانسته وصار ضربا من إحصاء الأفعال والأسماء وضروب اتّصالها ونظمها.**

وإنّنا نغالب صعوبة هذا البحث وتمنّعه عن الباحث. ولا يهمّ أن نُغلب بعدما نغالب. فقد بلغنا مقاما جديدا للنّظر والاعتبار. ونقلنا تفكيرنا من مقام إلى مقام. فلقد كانت كثير من النّصوص مجهولة عندنا. فجعلناها في حوزتنا. ولم نكن نقرأ كثيرا بألسنة أمم أخرى. وأثرينا معارفنا حول موضوع البلاغة، ممّا لا يعرف سرّه إلاّ من ارتاض في هذه النّصوص ولقّح كلاما بكلام كما يقول الجاحظ. فهذا الأمر لا يعرف

قدر تمحيصه وبيانه إلاّ من طالت معاشرته للنّصوص. وإنّما يعتري المتكلّمَ ضربٌ من الفتنة بما يلهج به من حسن ما يقول. وهذا أمر يتقصّاه العارفون بالأمور والمتفقّهون في أصول الصّناعة.

ولقد جعلنا شغلنا في طلب التّحولات الحادثة في طرائق انبناء المعنى، ووجدنا البحث في البلاغة مجملا لا يأتي على موضع المزيّة. **فنحن قد درسنا المعنى لا من حيث هو بنية. وإنّما من حيث هو انبناء ولا من جهة كونه شكلا. وإنّما من جهة كونه تشكّلا. فهل المتكلّم يبني المعنى أم أنّ المعنى يتبنى فيه؟ هل المعنى طارئ على الكيان أم هو صوت الكيان وقد ارتدى اللّغة هيئة مؤقّتة له؟** هذا الموضع العجيب من الدّرس تدبّرناه بتمحيص نصوص الشّعر لأنّها أقرب النّصوص إلى كيان القائل. فالمعنى كان شيئا آخر قبل أن يصير معنى، هو انفعالات تحوّلت إلى كلام. **ففي الشّعر مازالت اللّغة حيّة والصّورة تقطر دما**. وكذلك الأمر في الرّسم والموسيقى وحتّى في الصّور الكاريكاتوريّة. وعلينا أن نترجم الإشارات والتّنبيهات والملاحظات إلى أصول وتقسيمات وقوانين وأنظمة وأنساق وتأويلات وأبنية نظريّة.

هذا العمل ابتغينا به أن نفهم سياسة المعنى وأصول إنتاجه من مرحلة السّنّة والعمود إلى آخر المغامرات السّيميولوجيّة باللّغة في مرحلة ثورة أنظمة الكتابة وأنساقها وأشكالها.

وإنّ وضع شبكة القطائع الكبرى في الشّعريّة العربيّة ليس ممكنا فيما يتعلّق بالتّحوّلات الحاسمة في طرائق انبناء المعنى. وليس لنا أن نرسم حدّا فاصلا بين شعريّة القدم وشعريّة الحداثة. فليس كلّ رسم للحدود سوى قطع اعتباطيّ لشيء متحرّك بلا حدود. وهل نريد أن نقسّم الشّعر إلى مراحل لنميّز أنساق الكتابة ومناخاتها الكبرى ؟ إنّها لرغبة ذات شأن. لكنّ ذلك يقتضي درس المبادئ المتماسكة لكلّ مرحلة وولادة المختلف في عمقها. فكلّ قاعدة تحمل النّظام الّذي ينفيها.

وإنّ واقعة الانقطاع يصعب الحسم فيها ؛ إنّها تحدث ساعة تكفّ ثقافة مّا عن التّفكير على الأسس الّتي قامت عليها وتشرع في التّفكير بطريقة مختلفة. وهذا يقتضي أن تكون هذه الثّقافة قد بلغت من الانفتاح درجة أن تبدأ من جديد في كلّ

لحظة. لكن ربّما لم يأت زمن إثارة هذا الإشكال على نطاق عامّ. فمن المحتمل أنّ الثّقافة العربيّة الّتي يمثّل الشّعر صورتها الأكثر وضوحا لم تمتلك، على وجه كاف، الأنساق الفكريّة الّتي ترجّح هذه الرّؤية. لذلك اكتفينا الآن بالنّظر في هذه التّحوّلات في مظهرها البلاغيّ. فهل يكفي، لوصف الواقعة الشّعريّة العربيّة، أن نأخذ ما أُطلق عليه – بحقّ أو بغير حقّ – إسم الشّعر الجاهليّ لنقف على خصوصيّة جماليّة فيه. وهل إنّ انقطاع ميتافيزيقا التّشابه وتدشين ميتافيزيقا الاشتباه تقيم هذه القطيعة مادام التّشابه قد انغلق على نفسه وذهبت نصوصه. فالمدى الشّعريّ للّغة لم تعد تحدّده المشابهات والاستعارات من حيث هي مشابهات أيضا. **وبسبب هذه الواقعة الحداثيّة الكبرى في تاريخنا الثّقافيّ والحضاريّ سنجد أنفسنا نرى في الكون اختلافاته وندرك قلق الحضارة من نفسها ومن أشكالها.**

وسواء أكان الكيان أكبر من اللّغة أو كانت اللّغة أكبر من الكيان أو كانا متساويين في كونهما كبيرين أو صغيرين من حيث كون الكيان أصغر من الوجود واللّغة أصغر من السيميائية، فإنّ اللّغة وجدت في الكيان تجلّياتها القصوى والكيان وجد في اللّغة تمظهراته العليا. وإنّ هذه العلاقة أسّست تاريخا ثقافيّا للكيان باعتباره أكبر نصّ علاميّ بالمعنى الأصليّ لعبارة نصّ ؛ في معنى نَصَّ أي دلّ. وهذه الدّلالة – رغم سعتها العلاميّة والرّمزيّة – تبقى تحمل إمكانات مظروفة للعبارة وللحياة نفسها باعتبارها التّأويل الأعلى للكينونة.

هذا هو الكيان في هيئته اللّغويّة وفي صفته الشّعريّة تأوّلناه ضمن سياسة الاختلاف. ونظرنا في متواليات انسجام الكيان باللّغة حتّى نقع على حدود هذه العلاقة بين الكيان واللّغة ونضع لها سياقاتها النّظريّة.

وإنّ إحداث الشّعر والصّورة ضرب من الزّعم، على أن نفهم الزّعم على أنّه موكول إلى مقولات النّحو وأعاريبه. فالشّاعر يزعم أنّ اللّهفة حجريّة على رفّ أغنية تنام. وليست اللّهفة من حجر. وليس للأغنية رفّ. والأغنية لا تنام. لكنّ الشّاعر يدّعي ذلك ويزجّيه.

وإنّ هذه المساهمة – بما هي تفكير سنده تحليليّ ومبتغاه نظريّ – مراجعة ابتغينا بها استئناف النّظر في طرائق انبناء المعنى. فتبيّن لنا أنّ الطّرائق ليست

متاحة . وإنّما طرائق الكلام هي من طرائق الحياة ومن الحركات العميقة في الكيان وما يهفو إليه من أسباب. فتغيّرُ طرائق إنتاج المعنى تغيّرٌ في وضعيّة الكائن وفي بنية الرّغبة وبنية الحلم وبنية الحياة لديه؛ هذه المناطق الّتي ماتزال لدينا انفعالا لم يجد بعد التّرجمة المفهوميّة لتدبيره وسياسته، ما هي طرائق انبناء المعنى؟ هو سؤال لم نكتشفه بعد العسر والاستكراه الشّديد. فربّما مازال في السّؤال سرّ لم نقترفه بَعْدُ.

المصادر والمراجع

I - دواوين شعريّة :

أ - قديمة :

1 - الأخطل، بيروت : دار المشرق ، 1986

2 - الأصمعي، الأصمعيّات، تحقيق عمر فاروق الطّبّاع، بيروت : دار الأرقم، د.ت.

3 - الأعشى، بيروت : دار صادر، 1960 .

4 - الأفوه الأودي، شرح وتحقيق محمّد التّونجي، بيروت : دار صادر، ط 1 / 1998 .

5 - امرؤ القيس، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مصر : دار المعارف، ط2 / 1964 .

6 - أميّة بن أبي الصّلت، جمع وتحقيق ودراسة عبد الحفيظ السّطلي، دمشق : مكتبة أطلس، د.ت.

7 - أوس بن حجر، تحقيق محمّد يوسف نجم، بيروت : دار صادر، ط 3 / 1979 .

8 - البحتري، شرح وتقديم حنّا الفاخوري، بيروت : دار الجيل، 1995، (2ج).

9 - بشّار بن برد، تحقيق وشرح محمّد الطّاهر بن عاشور، تونس : الشّركة التّونسيّة للتّوزيع والجزائر : الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، 1976 .

10 - بشر بن أبي خازم الأسدي، تقديم وشرح مجيد طراد، بيروت : دار الكتاب العربيّ، ط 1 / 1994 .

11 - تأبّط شرّا وأخباره، تحقيق وشرح علي ذي الفقار شاكر، بيروت : دار الغرب الإسلاميّ، ط 1 / 1984 .

12 - أبو تمّام، حبيب بن أوس، **ديوان الحماسة**، شرح الخطيب التّبريزي، بيروت : دار العلم، د.ت. (2ج)

13 - أبو تمّام، شرح الخطيب التّبريزي، تحقيق محمّد عبده عزّام، مصر : دار المعارف، د.ت. (4 مجلّدات)

14 - جرير، شرح وتقديم محمّد ناصر الدين، بيروت : دار الكتب العلميّة، ط 1 / 1986 .

15 - جميل بن معمر، (المشهور بجميل بثينة) بيروت : المكتبة الثّقافيّة، د.ت.

16 - حاتم الطّائي وأخباره، صنعة يحيى بن مدرك الطّائي، رواية هشام بن محمّد الكلبي، تحقيق ودراسة عادل سليمان جمال، تونس : دار سحنون، ط 2 / 1990 .

17 - الحادرة، قطبة بن أوس، تحقيق ناصر الدّين الأسد، بيروت : دار صادر، 1973 .

18 - الحارث بن حلّزة، شرح مجيد طراد، بيروت : دار الجيل، ط 1 / 1998 .

19 - حسّان بن ثابت الأنصاري، شرح يوسف عيد، بيروت : دار الجيل، ط 1 / 1992 .

20 - الحسين بن الضّحّاك، تحقيق عبد السّتّار أحمد فراج، بيروت : دار الثّقافة، 1960 .

21 - الحطيئة، جرول بن أوس، برواية ابن السّكّيت وشرحه. تقديم حنّا نصر الحتّي، بيروت : دار الكتاب العربيّ، ط 1 / 1995 .

22 - حميد بن ثور، تحقيق عبد العزيز الميمني، بيروت : دار الكتب العامّة، 1951 .

23- الخنساء، شرح يوسف عيد، بيروت : دار الجيل، ط 1 / 1992 .

24- دعبل الخزاعي، تقديم وشرح ضياء حسين الأعلمي، بيروت : مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط 1 / 1997 .

25 - ذو الرّمّة، رواية أبي العبّاس ثعلب، تحقيق وتقديم عبد القدّوس أبو صالح، دمشق : مجمع اللّغة العربيّة، 1972 - 1974 . (3ج)

26 - ربيعة بن مقروم، جمع وشرح نوري حمودي القيسي، بغداد، 1968 .

27 - ابن الرّومي، تحقيق حسين نصّار، القاهرة : الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1981 . (6ج)

28- زهير بن أبي سلمى، شرح أبي العبّاس ثعلب، تحقيق : فخر الدّين قباوة، بيروت : دار الفكر المعاصر ودمشق : دار الفكر، ط 2 / 1996 .

29- الزوزني، شرح المعلّقات السّبع، تحقيق ودراسة محمّد عبد القادر أحمد، القاهرة : مكتبة النّهضة المصريّة، ط 1 / 1987 .

30 - سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدّين قباوة، بيروت : دار الكتب العلميّة، ط 2 / 1987 .

31 - ديوان السّموأل بن عادياء،تحقيق وشرح واضح الصّمد، بيروت : دار الجيل، ط 1 / 1996 .

32 - الشّمّاخ بن ضرار الذّبياني الغطفاني، شرح وتقديم قدري مايو، بيروت : دار الكتاب العربيّ، ط 1 / 1994 .

33 - الشّنفرى، تقديم طلال حرب، بيروت : دار صادر، ط 1 / 1996 .

34 - الشّنفرى، لاميّة العرب، قسطنطينيّة : مطبعة الجوائب، ط 1 / 1300 هـ.

35 - طرفة بن العبد، تحقيق فخر الدّين قباوة، بيروت : دار الفكر المعاصر ودمشق : دار الفكر، د .ت.

36 - الطّرمّاح، تحقيق عزّة حسن، بيروت وحلب : دار الشّرق العربي، ط 2 / 1994 .

37 - طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تحقيق حسّان فلاح أوغلي، بيروت : دار صادر، ط 1 / 1997 .

38 - عامر بن الطّفيل، تحقيق ودراسة أنور أبو سويلم، بيروت : دار الجيل، ط 1 / 1996 .

39 - عبيد بن الأبرص، بيروت : دار صادر، د .ت.

40 - أبو العتاهية، شرح مجيد طراد، بيروت : دار الكتاب العربيّ. ط 1 / 1995 .

41 -عدي بن زيد، بغداد : وزارة الثّقافة ، 1965 .

42 - عروة بن الورد، تحقيق وشرح كرم البستاني، بيروت : دار صادر، 1953 .

43 - علقمة الفحل، شرح الأعلم الشّنتمري، تحقيق لطفي الصّقّال ودريّة الخطيب، مراجعة فخر الدّين قباوة، حلب : دار الكتاب العربيّ، ط 1 / 1969 .

44 - عمرو بن كلثوم، بيروت : دار صادر، ط 1 / 1996 .

45 - عنترة، بيروت : دار بيروت ودار صادر، دت.

46 - الفرزدق، شرح إيليا حاوي، بيروت : دار الكتاب اللّبناني ومكتبة المدرسة، ط 1 / 1983، (2ج)

47 - القرشي، أبو زيد، جمهرة أشعار العرب، شرح علي فاعور، بيروت : دار الكتب العلميّة، ط 1 / 1986 .

48 - قيس بن الأسلت، تحقيق حسن محمّد باجورة، القاهرة : دار التّراث 1973.

49 - قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدّين الأسد، بيروت : دار صادر، ط 2 / 1967.

50 - قيس لبنى، شرح عدنان زكي درويش، بيروت : عالم الكتب، ط 1 / 1996.

51 - كعب بن زهيّر، تحقيق وشرح علي فاعور، بيروت : دار الكتب العلمية، ط 1 / 1987.

52 - الكميت بن زيد الأسدي، جمع وتقديم داود سلوم، بيروت : عالم الكتب، ط 2 / 1997 .(ج2)

53 - لبيد بن ربيعة العامري، بيروت : دار صادر، د.ت.

54 - المتنبي، أبو الطّيب، شرح الواحدي، تحقيق فريدرخ ديتريصي، برلين 1881.

55 - المتلمّس الضّبعي، شرح وتحقيق محمّد التّونجي، بيروت : دار صادر، ط 1 / 1998.

56 - المثقّب العبدي، عائذ بن محصن بن عبد قيس، تحقيق وشرح حسن حمد، بيروت : دار صادر، ط 1 / 1996.

57 - مجنون ليلى، شرح مجيد طراد ، بيروت : عالم الكتب، ط 1 / 1996.

58 - المرقّشان (المرقّش الأكبر : عمرو بن سعد والمرقّش الأصغر : عمرو بن حرملة) تحقيق كارين صادر، بيروت : دار صادر، ط 1 / 1998.

59 - مسلم بن الوليد، (المشهور بصريع الغواني)، تحقي سامي الدّهّان، القاهرة : دار المعارف، ط 3 / 1985.

60 - ابن المعتزّ، بيروت : دار صادر، د.ت.

61 - المعرّي، أبو العلاء، سقط الزّند، بيروت : دار صادر، 1988.

62 - لزوم ما لا يلزم، شرح كمال اليازجي، بيروت : دار الجيل، 1992، (ج2)

63 - المفضّل الضّبّي، المفضّليّات : تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السّلام محمّد هارون، القاهرة : دار المعارف، ط 8 / د.ت.

64 - المهلهل بن ربيعة، تقديم طلال حرب، بيروت : دار صادر، ط 1 / 1996.

65 - النّابغة الجعدي، منشورات المكتب الإسلاميّ، ط 1، د.ت.

66 - النّابغة الذّبياني ، صنعة ابن السّكّيت، تحقيق شكري فيصل بيروت : دار الفكر، د.ت.

67 - نصيب، جمع وتقديم داود سلوم، بغداد : مكتبة الأندلس، 1967.

68 - الوأواء الدّمشقي، تحقيق سامي الدّهان، بيروت : دار صادر، ط 2 / 1993.

ب ـ حديثة

أدونيس، الأعمال الشّعريّة الكاملة، بيروت : دار العودة، ط 4 / 1985 . (مجلّدان) وتضمّ:

- قصائد اولى
- اوراق في الرّيح
- اغاني مهيار الدّمشقي
- كتاب التّحوّلات والهجرة في اقاليم النّهار واللّيل
- المسرح والمرايا
- هذا هو إسمي
- المطابقات والأوائل .
- مفرد بصيغة الجمع
- الكتاب امس المكان الآن، دار السّاقي، ط 1 / 1998 .

بسيسو معين، الأعمال الشّعريّة الكاملة، بيروت : دار العودة، ط 3 / 1987 . ويحوي المجموعات التّالية :

- ديوان المسافر
- ديوان المعركة
- ديوان حينما تمطر الأحجار.
- مارد من السّنابل
- الأردن على الصّليب
- ديوان فلسطين في القلب
- ديوان الأشجار تموت واقفة
- قصائد على زجاج النّوافذ
- ديوان جئت لأدعوك باسمك
- ديوان آخر القراصنة من العصافير
- ديوان الآن خذي جسدي كيسا من رمل

البياتي، عبد الوهاب، الدّيوان، بيروت : دار العودة، ط 4 / 1990 . (2ج) ويضمّ المجموعات التّالية :

- ملائكة وشياطين
- اباريق مهشّمة
- المجد للأطفال والزّيتون
- اشعار في المنفى
- عشرون قصيدة من برلين
- كلمات لا تموت
- النّار والكلمات

- سفر الفقر والثّورة

- الّذي ياتي ولا ياتي

- عيون الكلاب الميّتة

- الموت في الحياة

- الكتابة على الطّين

- قصائد حبّ على بوّابات العالم السّبع

- كتاب البحر

- سيرة ذاتية لسارق النّار

- قمر شيراز

- مملكة السّنبلة

الحاج، أنسي، ماذا صنعت بالذّهب، ماذا فعلت بالوردة؟ بيروت : دار الجديد، ط 2 / 1994.

درويش، محمود، الدّيوان، بيروت : دار العودة، ط 14 / 1994 ويضمّ :

- اوراق الزيتون (1964)

- عاشق من فلسطين (1966)

- آخر اللّيل (1967)

- العصافير تموت في الجليل (1969)

- حبيبتي تنهض من نومها (1970)

- احبّك او لا احبّك (1972)

- محاولة رقم 7 (1973)

- تلك صورتها. وهذا انتحار العاشق (1975)

- اعراس (1977)

- مديح الظّلّ العالي (1983)

- حصار لمدائح البحر (1984)

- ورد اقلّ (1990)

- ارى ما اريد (1992)

- أحد عشر كوكبا (1994)

- عصافير بلا أجنحة، دار الآداب، ط 1 / 1960.

- لماذا تركت الحصان وحيدا!؟ لندن وبيروت : رياض الرّيّس للنّشر، ط 1 / 1995.

- سرير الغريبة، لندن وبيروت : رياض الرّيّس للنّشر، ط 1 / 1999.

- جداريّة محمود درويش، لندن وبيروت : رياض الرّيّس للنّشر، ط 1 / 2000.

دنقل، أمل، الأعمال الشّعريّة الكاملة، بيروت : دار العودة، والقاهرة : مكتبة مدبولي، ط 3 / 1985. ويحوي المجموعات التّالية :

- مقتل القمر

- البكاء بين يدي زرقاء اليمامة

- تعليق على ما حدث

- العهد الآتي

- اقوال جديدة عن حرب البسوس

- اوراق الغرفة 8

- قصائد متفرّقة

السّيّاب بدر شاكر، الدّيوان، بيروت : دار العودة، 1989. (2ج) ويحوي المجموعات التّالية :

- أزهار وأساطير

- المعبد الغريق

- منزل الأقنان

- أنشودة المطر

- شناشيل ابنة الجلبي

- البواكير

- فجر السّلام

- قيثارة الرّيح

- المحبوبة

- أعاصير

- الهدايا

أبو شقراء، شوقي، لا تأخذ تاج فتى الهيكل، بيروت : دار الجديد، ط 1 / 1992.

II - مراجع قديمة :

1 - الآمدي، الحسن بن بشر، الموازنة بين أبي تمّام والبحتري، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، بيروت : المكتبة العلميّة، د.ت.

2 - ابن الأثير، ضياء الدّين، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، تحقيق مصطفى جواد، بغداد : المجمع العلميّ، 1956.

3 - المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، صيدا - بيروت : المكتبة العصريّة، 1990. (مجلّدان)

4 - الأخفش، كتاب القوافي، تحقيق أحمد راتب النّفّاخ، بيروت : دار الأمانة، 1974.

5 - إخوان الصّفاء وخلاّن الوفاء، الرّسائل، بيروت : دار صادر، 1957.

6 - أرسطو طاليس، الخطابة، التّرجمة العربيّة القديمة، تحقيق عبد الرّحمان بدوي، القاهرة : النّهضة المصريّة، 1959.

7 - فنّ الشّعر، ترجمة عبد الرّحمان بدوي، القاهرة : مكتبة النّهضة المصريّة، 1953.

8 - الاستراباذي، الرّضي، شرح الكافية، تحقيق محمّد نور الحسن ومحمّد الزّفزاف ومحمّد محيي الدّين عبد الحميد، بيروت : دار الكتب العلميّة، 1982.

9 - ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، تحقيق حنفي شرف، القاهرة : نهضة مصر، 1957.

10 - تحرير التّحبير في صناعة الشّعر والنّثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق وتقديم حنفي شرف، القاهرة : المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، 1383 هـ.

11 - الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني، بيروت : دار الفكر، ط 1 / 1986. (25ج)

12 - الأصمعي، فحولة الشّعراء، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي وطه الزّين، القاهرة : المطبعة المنيريّة، 1953.

13 - ما اختلفت ألفاظه واتّفقت معانيه، تحقيق وشرح ماجد حسن الذّهبي، دمشق : دار الفكر، ط 1 / 1986.

14 - الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان، تحصيل عين الذّهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، بغداد : دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، ط 1 / 1992.

15 - ابن الأنباري، الأضداد، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، الكويت : 1960.

16 - الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النّحويّين البصريّين والكوفيّين، تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد، صيدا - بيروت : المكتبة العصريّة، 1987، (2ج)

17 - الباقلاني، أبو بكر، إعجاز القرآن، تحقيق عماد الدّين حيدر، بيروت : مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، 1986.

18 - البغدادي، خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة : مكتبة الخانجي، ط 2 / 1981.

19 - قانون البلاغة في نقد الشّعر، تحقيق محسن عياض عجيل، بيروت : مؤسّسة الرّسالة، 1981.

20 - البَطَلْيَوْسِي، الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب، بيروت : المطبعة الأدبيّة، د.ت.

21 - التّنوخي، القاضي، الأقصى القريب في علم البيان، القاهرة : مطبعة السّعادة 1327 هـ.

22 - كتاب القوافي، تحقيق عمر الأسعد ومحيي الدّين رمضان، بيروت : دار الإرشاد، 1970 .

23 - التّهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون، بيروت : منشورات خيّاط، 1966 .

24 - التّوحيدي، أبو حيّان، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزّين، بيروت : مكتبة الحياة، د.ت.

25 - البصائر والذّخائر، تحقيق أحمد أمين والسيّد صقر، القاهرة : لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، 1953 .

26 - التّوحيدي وابن مسكويه، الهوامل والشّوامل، تحقيق أحمد أمين والسّيد صقر، القاهرة : لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، 1957 .

27 - ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم، الإيمان، القاهرة : مطبعة الإمام، د.ت.

28 - دقائق التّفسير في ردّ قول المرجئة والجهميّة، بيروت : مؤسّسة علوم القرآن، 1986 (6ج)

29 - الثّعالبي، أبو منصور، تحسين القبيح وتقبيح الحسن، تحقيق شاكر العاشور، العراق : وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، ط 1 / 1981.

30 - التّمثيل والمحاضرة، تحقيق عبد الفتّاح الحلو، القاهرة : عيسى الحلبي، 1961 .

31 - ثعلب، أبو العبّاس أحمد بن يحيي، قواعد الشّعر، تحقيق رمضان عبد التّوّاب، القاهرة : دار المعرفة 1966 .

32 - مجالس ثعلب، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة : دار المعارف، 1960 .

33 - الجاحظ، البخلاء، بيروت : دار القلم، 1968 .

34 - البيان والتّبيين، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة :مكتبة الخانجي، ط 3 / 1969 . (4ج)

35 - الحيوان، تحقيق عبد السّلام هارون، بيروت : دار إحياء التّراث العربيّ، ط 3 / 1965 . (8ج)

36 - الرّسائل، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1965 . (3ج)

37 - المحاسن والأضداد، بيروت : دار إحياء العلوم، تحقيق محمّد سويد، ط 1 / 1991 .

38 - الجرجاني، الشّريف، التّعريفات، القاهرة : طبعة مصطفى البابي الحلبي، 1938 .

39 - الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة، تحقيق هـ. ريتر، بغداد : دار المسيرة ومكتبة المثنّى، 1979 .

40 - دلائل الإعجاز، تحقيق محمّد رضوان الدّاية وفايز الدّاية، دار قتيبة، ط 1 / 1983 .

41 - الرّسالة الشّافية، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمّد خلف الله ومحمّد زغلول سلاّم، مصر : دار المعارف، ط 2 / 1968 .

42 - كتاب المقتصد في شرح الإيضاح (لأبي علي الفارسي) تحقيق كاظم بحر المرجان، العراق : دار الرّشيد، 1982 . (2ج)

43 - الجرجاني، القاضي، الوساطة بين المتنبّي وخصومه، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، القاهرة : دار إحياء الكتب العربيّة، 1966 .

44 - ابن الجزري، تقريب النّشر في القراءات العشر، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، مصر : البابي الحلبي، ط 1 / 1961 .

45 - قدامة بن جعفر، نقد الشّعر، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة : مكتبة الخانجي، ط 3 / 1978 .

46 – ابن جنيّ، الخصائص، تحقيق محمّد علي النّجّار، القاهرة : دار الكتب المصريّة، 1953 – 1956 .

47 – سرّ صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السّقّا وابراهيم مصطفى ومحمّد الزّفزاف وعبد الله أمين، القاهرة : إدرة إحياء التّراث القديم، 1954 .

48 – الجُوَيْنِي، أبو المعالي، عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصول الفقه، تحقيق وتقديم عبد العظيم محمود الدّيب، القاهرة : دار الوفاء، ط 3 / 1992 . (2ج)

49 – الحاتمي، حلية المحاضرة في صناعة الشّعر، تحقيق جعفر الكناني، بغداد : دار الرّشيد، 1979 .

50 – الرّسالة الموضّحة في ذكر سرقات أبي الطّيب المتنبّي وساقط شعره، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت : دار صادر، 1965 .

51 – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت : دار الجيل، ط 1 / 1987 .

52 – الفلك الدّائر على المثل السّائر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة :نشر نهضة مصر، 1959 – 1962 .

53 – ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة : مطبعة الإمام، د.ت.

54 – التّقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامّية والأمثلة الفقهيّة، تحقيق إحسان عباس، بيروت : مكتبة الحياة، 1959 .

55 – الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربيّة، ط 1 / 1953 .

56 – الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، بيروت : دار الفكر، ط 3 / 1980 . (20ج)

57 – الخطابي، أبو سليمان، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمّد خلف الله ومحمّد زغلول سلاّم، القاهرة : دار المعارف، 1968 .

58– ابن خلدون، عبد الرّحمان، المقدّمة، بيروت : دار الكتاب اللّبناني ومكتبة المدرسة، د.ت.

59 – ابن دريد الأزدي، أبو بكر، كتاب الاشتقاق، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، بيروت : دار المسيرة، ط 2 / 1979 .

60 – كتاب الملاحن : تحقيق عبد الإله نبهان، بيروت : مكتبة لبنان ناشرون، ط 1 / 1996 .

61 – ابن الدّهّان، الأضداد، تحقيق محمد حسن آل ياسين، بغداد : نفائس المخطوطات، ط 3 / 1963 .

62 – الرّازي أبو بكر، رسائل فلسفيّة، تحقيق بول كرواس، القاهرة : مطبوعات فؤاد الأوّل، 1939 .

63 – الرّازي، فخر الدّين، المحصول في علم أصول الفقه، المجلّد الأوّل : الكلام في اللّغات، بيروت : دار الكتب العلميّة، ط 1 / 1988 .

64 – مفاتيح الغيب، المشتهر بالتّفسير الكبير، القاهرة : المطبعة الخيريّة، 1307 هـ.(2ج)

65 – نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق بكري شيخ أمين، بيروت : دار العلم للملايين، 1985 .

66 – ابن رشد، تلخيص كتاب أرسطو في الشّعر، ضمن كتاب فنّ الشّعر، تحقيق عبد الرّحمان بدوي، القاهرة : النّهضة المصريّة، 1954 .

67 – تلخيص كتاب النّفس وأربع مسائل، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، القاهرة : النّهضة المصريّة، 1950 .

68 – ابن رشيق، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، بيروت : دار الجيل، ط 5 / 1981 .

69 – الرّضي، الشّريف، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق محمد عبد الغني حسن، القاهرة : طبعة عيسى الحلبي، 1955 .

70 – الرّمّاني، النّكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمّد زغلول سلاّم، القاهرة : دار المعارف، 1968 .

71 – الزّجاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النّحو، تحقيق مازن مبارك، بيروت : دار النّفائس، 1973 .

72 – الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت – صيدا : المكتبة العصريّة، 1972 . (4ج)

73 – الزّمخشري، أساس البلاغة ، بيروت : دار الفكر، 1989 . (2ج)

74 – الدّرّ الدّائر المنتخب من كنايات واستعارات وتشبيهات العرب، تحقيق بهيجة الحسيني، بغداد : مطبعة المجمع العلميّ العراقيّ، 1968 .

75 – الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، بيروت : دار المعرفة، د .ت.

76 – ابن الزّملكاني، التّبيان في علم البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد : مطبعة العاني، 1964 .

77 – السّجستاني، كتاب الأضداد، تحقيق ودراسة محمد عبد القادر أحمد، القاهرة : مكتبة النّهضة المصريّة، 1991 .

78 – السّجلماسي، أبو القاسم، المنزع البديع في تحسين البديع، حقيق علاّل الفاسي، الرّباط : مكتبة المعارف، ط 1 / 1980 .

79 – ابن السّرّاج، الأصول في النّحو، تحقيق عبد الحسن الفتلي، بغداد : طبعة الأعظمي، 1973 .

80 – السّكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، ط 2 / 1987 .

81 – ابن السّكّيت، الأضداد، بيروت : المطبعة الكاثوليكية، 1912 .

82 – ابن سلاّم، طبقات فحول الشّعراء، تحقيق محمود شاكر، القاهرة : دار المعارف، ط 2 / 1975 .

83 – ابن سناء الملك، أبو القاسم، هبة الله جعفر، دار الطّراز في عمل الموشّحات، دمشق : دار الفكر، 1980 .

84 – ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، بيروت : دار الكتب العلميّة، 1982 .

85 – سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، القاهرة : مكتبة الخانجي، 1988 . (4ج)

86 – ابن سيده، المخصّص، بيروت : دار الآفاق الجديدة، د .ت. (4ج)

87 – ابن سينا، أبو علي، الإشارات و التّنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة : دار المعارف، 1960 .

88 – تلخيص كتاب الشّعر، ضمن كتاب فنّ الشّعر لأرسطو، تحقيق عبد الرّحمان بدوي، القاهرة : مكتبة النّهضة المصريّة، 1953 .

89 – جوامع علم الموسيقى، من كتاب الشّفاء، تحقيق زكريا يوسف، الإدارة العامّة للثّقافة، 1952.

90 – ابن سينا، حيّ بن يقظان، تحقيق أحمد أمين، القاهرة : دار المعارف، د.ت.

91 – الخطابة، من كتاب الشّفاء، تحقيق محمّد سليم سالم، القاهرة : الإدارة العامّة للثّقافة، 1954.

92 – الطّبيعيّات، من عيون الحكمة، ضمن تسع رسائل في الحكمة والطّبيعيّات، قسطنطينيّة : مطبعة الجوائب، 1298 هـ.

93 – العبارة، من كتاب الشّفاء : قسم المنطق، تحقيق محمود الخضري، القاهرة : الهيئة المصريّة العامّة للتّأليف والنّشر، 1970.

94 – فنّ الشعر، من كتاب الشّفاء : قسم المنطق، تحقيق عبد الرّحمان بدوي، القاهرة : النّهضة العربيّة، 1953.

95 – المجموع أو الحكمة العروضيّة في معاني كتاب ريطوريقا، تحقيق محمد سليم سالم، القاهرة : مركز التّراث، 1969.

96 – السّيوطي، جلال الدّين، الإتقان في علوم القرآن، بيروت : المكتبة الثّقافيّة، 1973.

97 – السّيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة : دار الفكر، ط 2 / 1979. (2ج)

98 – السّيوطي، جلال الدّين، صون المنطق والكلام عن فنّ المنطق والكلام، تحقيق علي سامي النّشّار، القاهرة : مكتبة الخانجي، د.ت.

99 – المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، شرح محمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمّد البجاوي، صيدا – بيروت : منشورات المكتبة العصريّة، 1987.

100 – الصّاغاني، الأضداد، تحقيق محمّد عبد القادر أحمد، القاهرة : مكتبة النّهضة المصريّة، 1989.

101 – الصّولي، أبو بكر، أخبار أبي تمّام، تحقيق محمّد عزّام وخليل محمود عساكر ونظير الإسلام الهندي، بيروت : دار الآفاق الجديدة، ط 3 / 1980.

102 – ابن طباطبا، عيار الشّعر، بيروت : دار الكتب العامّة، ط 1 / 1982.

103 – الطّبري، محمّد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، بيروت : دار الكتب العلميّة، ط 2 / 1997. (12ج)

104 – الطّرودي، أحمد مصطفى، كتاب جامع العبارات في تحقيق الاستعارات، تحقيق ودراسة محمد رمضان الجربي، طرابلس : الجماهيريّة للنّشر، ط 1 / 1986. (2ج)

105 – أبو الطّيّب اللّغويّ، الأضداد في كلام العرب، دمشق : مطبوعات المجمع العلميّ، 1963.

106 – عبد الجبّار، القاضي، المغني في أبواب التّوحيد والعدل، مصر : المؤسّسة المصريّة العامّة للتّأليف والتّرجمة، 1961 – 1965، (16ج)

107 – ابن عبد ربّه، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد التّرحيني، بيروت : دار الكتب العلميّة، ط 1 / 1983، (4ج).

108 – ابن عربي، محيي الدّين، الفتوحات المكّيّة، تحقيق عثمان يحيى، القاهرة : الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1972 – 1990، (13ج)

109 – العسكري، أبو هلال، التّلخيص في معرفة أسماء الأشياء، بيروت : دار صادر، ط 2 / 1993 .

110 – ديوان المعاني، القاهرة : مكتبة القدس، 1352 هـ.

111 – الفروق في اللّغة، بيروت : دار الآفاق الجديدة، ط 5 / 1983 .

112 – كتاب الصّناعتين : الكتابة والشّعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا – بيروت : المكتبة العصريّة، 1986 .

113 – ابن أبي عون، كتاب التّشبيهات، تحقيق محمّد عبد المعيد خان، كمبردج 1950 .

114 – الغزالي، أبو حامد، إلجام العوامّ عن علم الكلام، القاهرة : المطبعة الإعلاميّة، 1303 هـ.

115 – المستصفى في علم الأصول، القاهرة : المكتبة التّجاريّة الكبرى، 1937، (2ج)

116 – الفارابي، أبو نصر، آراء أهل المدينة الفاضلة، بيروت : دار العراق، 1955 .

117 – إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، القاهرة : مكتبة الأنجلو، 1968 .

118 – جوامع الشّعر، مع تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشّعر، تحقيق محمّد سليم سالم، القاهرة : المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، 1971 .

119 – رسالة في قوانين صناعة الشّعراء، ضمن فنّ الشّعر، تحقيق عبد الرّحمان بدوي، القاهرة : النّهضة المصريّة، 1953 .

120 – السياسة المدنيّة، الملقّب بمبادئ الموجودات، تحقيق فوزي نجّار، بيروت : دار المشرق، ط 2 / 1993 .

121 – كتاب الحروف، تحقيق محسن مهدي، بيروت : دار المشرق، ط 2 / 1990 .

122 – كتاب الموسيقى الكبير، تحقيق غطّاس عبد الملك خشبة، القاهرة : دار الكتاب العربيّ، 1967 .

123 – ابن فارس، الصّاحبي في فقه اللّغة، القاهرة : المكتبة السلفيّة، 1910 .

124 – مقاييس اللّغة، تحقيق عبد السّلام هارون، بيروت : دار الفكر، 1979 .

125 – الفارسي، أبو علي، الإيضاح، تحقيق كاظم بحر المرجان، بيروت : عالم الكتب، 1996 .

126 – الفرّاء، يحيى بن زياد، معاني القرآن، بيروت : عالم الكتب، ط 2 / 1980 .

127 – القالي، أبو علي، كتاب الأمالي، بيروت : دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط 2 / 1987 . (3ج)

128 – ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، القاهرة : مطبعة كردستان العلميّة، 1326هـ.

129 – تأويل مشكل القرآن، شرح سيّد أحمد الصّقر، القاهرة : دار التّراث، ط 2 / 1973 .

130 – الشّعر والشّعراء، تحقيق أحمد شاكر وعبد السّلام هارون، القاهرة : دار المعارف. ط 2 / 1976 . (2ج)

131 – ابن قتيبة، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني. بيروت : دار الكتب العلميّة، 1984 . (3ج)

132 – القرطاجنّي، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بلخوجة، تونس : دار الكتب الشّرقيّة، 1966 .

133 – القزويني، جلال الدّين، التّلخيص في علوم البلاغة،القاهرة : المكتبة التّجاريّة الكبرى، ط 2 / 1932 .

134 – القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح محمّد عبد المنعم خفاجي، بيروت : دار الكتاب اللّبناني، ط 6 / 1985. (2ج)

135 – القشيري، أبو القاسم، الرّسالة القشيريّة في علم التّصوّف. شرح زكريا الأنصاري، بيروت : دار الكتاب العربيّ، د.ت.

136 – قطرب، الأضداد، تحقيق حنّا حدّاد، الأردن، دار العلوم ط 1 / 1983.

137 – كُشاجم، أدب النّديم، بولاق : المطبعة الأميريّة، 1298 هـ.

138 – ابن قيّم الجوزيّة، الصّواعق المرسلة على الجهميّة والمعطّلة، اختصار محمّد الموصلي، القاهرة : مطبعة الإمام بمصر، ط 2 / 1380 هـ.

139 – ابن الكتاني، الطّبيب، عبد الله بن محمّد، كتاب التّشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عبّاس، بيروت : دار الشّروق، ط 2 / 1981.

140 – الكلاعي، الإشبيلي، أبو القاسم محمد بن عبد الغفور، إحكام صنعة الكلام في فنون النّثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، تحقيق محمّد رضوان الدّاية، بيروت : عالم الكتب، ط 2 / 1985.

141 – الكندي، رسائل فلسفيّة، تحقيق محمّد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة : دار الفكر العربيّ، 1955. (2ج)

142 – المبرّد، الكامل في اللّغة والأدب، بيروت : مؤسّسة المعارف، د.ت.

143 – المرتضى، أمالي المرتضى : غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، بيروت : دار الكتاب العربيّ، ط 2 / 1967.

144 – المرزباني، محمد بن عمران، معجم الشّعراء، تحقيق أحمد عبد السّتّار فراج، دار إحياء الكتب العربيّة، 1960.

145 – الموشّح في مآخذ العلماء على الشّعراء في عدّة أنواع من صناعة الشّعر، تحقيق علي محمّد البجاوي، القاهرة : دار الفكر العربيّ،1965.

146 – المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق أحمد أمين وعبد السّلام هارون، القاهرة : طبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ط 1 / 1951.

147 – ابن المعتزّ، فصول التّماثيل، القاهرة : المطبعة العربيّة، 1925.

148 – كتاب البديع، بيروت : دار المسيرة، 1982.

149 – ابن منظور، لسان العرب، بيروت : دار صادر، د.ت.

150 – ابن منقذ، أسامة، البديع في نقد الشّعر، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، القاهرة : الإدارة العامّة للثّقافة ومطبعة مصطفى بابي الحلبي، 1960.

151 – ابن ناقيا، الجمان في تشبيهات القرآن، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، بغداد : مطبعة العاني، 1967.

152 – ابن النّجار، محمد بن أحمد الفتوحي، شرح الكوكب المنير المسمّى بمختصر التّحرير أو المختبر المبتكر في شرح المختصر في أصول الفقه، مكّة المكرّمة : مركز البحث العلمي وإحياء التّراث الإسلامي، د.ت.

153 – ابن النديم، محمد بن أبي يعقوب، الفهرست، شرح يوسف علي الطّويل، تحقيق أحمد شمس الدّين، بيروت : دار الكتب العلميّة، 1966 .

154 – النّهشلي، الممتع في صنعة الشّعر، تحقيق وشرح عبّاس عبد السّاتر، بيروت : دار الكتب العلميّة، ط 1 / 1983 .

155 – ابن وكيع التّنّيسي، المنصف في نقد الشّعر وبيان سرقات المتنبّي ومشكل شعره، تحقيق محمّد رضوان الدّاية، دمشق : دار قتيبة، 1982 .

156 – ابن يعيش، شرح المفصّل، بيروت : عالم الكتب، د.ت.

III- مراجع حديثة باللّسان العربيّ :

1 – إبراهيم، أحمد طه، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب : من العصر الجاهليّ إلى القرن الرّابع الهجريّ، بيروت : دار الكتب العلميّة، 1989 .

2 – أدونيس، الثّابت والمتحوّل، بحث في الإبداع والاتّباع عند العرب، الجزء الأوّل، الأصول، والجزء الثّاني، تأصيل الأصول والجزء الثّالث، صدمة الحداثة (الموروث الشّعريّ) والجزء الرّابع، صدمة الحداثة (الموروث الدّينيّ) لبنان: دار السّاقي، ط 7 / 1994 .

3 – زمن الشّعر، لبنان : دار الفكر، ط 5 / 1986 .

4 – الصّوفيّة والسّرياليّة، بيروت : دار السّاقي، 1996 .

5 – في قصيدة النّثر، مجلّة : شعر، السّنة الرّابعة، عدد 14 .

6 – مقدّمة للشّعر العربيّ، بيروت : دار العودة، 1983.

7 – إسماعيل، عزالدّين، التّفسير النّفسيّ للأدب، القاهرة : مكتبة غريب، ط 4 / 1984 .

8 – الشّعر العربيّ المعاصر : قضاياه وظواهره الفنّيّة والمعنويّة، بيروت : دار الثّقافة ودار العودة، ط 2 / 1972 .

9 – أمين إبراهيم، الأصوات اللّغويّة، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصريّة، 1990 .

10 – دلالة الألفاظ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصريّة، 1991 .

11 – موسيقى الشّعر، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصريّة، 1965 .

12 – أنيس، إبراهيم، موسيقى الشّعر، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصريّة، 1965 .

13 – إيكو، أمبرتو، القارئ في الحكاية : التّعاضد التّأويليّ في النّصوص الحكائيّة، ترجمة أنطوان أبو زيد، الدار البيضاء : المركز الثّقافيّ العربيّ، ط 1 / 1996 .

14 – بدوي، أحمد، أسس النّقد الأدبيّ عند العرب، نهضة مصر، د. ت.

15 – برغل سعد، اللّغة الشّعريّة عند أدونيس، شهادة كفاءة في البحث، إشراف الهادي الجطلاوي، كلّيّة الآداب بمنّوبة، 1990 – 1991.

16 – بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربيّ، ترجمة رمضان عبد التّوّاب، القاهرة : دار المعارف، ط5 – 1977 .(ج6)

17 – بزّون، أحمد، قصيدة النّثر العربيّة، (الإطار النّظريّ) بيروت : دار الفكر الجديد، ط 1 / 1996.

18 – البطل، علي، الصّورة في الشّعر العربيّ : دراسة في أصولها وتطوّرها، بيروت : دار الأندلس، 1983.

19 – بكّار، توفيق، شعريّات عربيّة، الجزء الأوّل، تونس : دار الجنوب،ط 1 / 2000.

20 – بكّار، يوسف، بناء القصيدة في النّقد العربيّ القديم، القاهرة : دار الثّقافة، 1979.

21 – بلاشير، رجيس، تاريخ الأدب العربيّ، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دمشق : وزارة الثّقافة، 1973.(3ج)

22 – بناني، محمّد الصّغير، النّظريّات اللّسانيّة والبلاغيّة عند العرب، بيروت : دار الحداثة، د. ت.

23 – بنيس، محمّد، الشّعر العربيّ الحديث : بنياته وإبدالاتها، الجزء الأوّل، التّقليديّة، الدّار البيضاء : دار توبقال للنّشر، ط 1 / 1989.

24 – الشّعر العربيّ الحديث : بنياته وإبدالاتها، الجزء الثّاني، الرّومانسيّة العربيّة، الدّار البيضاء : دار توبقال للنّشر، ط 1 / 1990.

25 – الشّعر العربيّ الحديث، الشّعر المعاصر، الدّار البيضاء : دار توبقال للنّشر، ط 2 / 1996.

26 – الشّعر العربيّ الحديث : بنياته وإبدالاتها، الجزء الرّابع، مساءلة الحداثة، الدّار البيضاء : دار توبقال للنّشر، ط 1 / 1991.

27– ظاهرة الشّعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيويّة تكوينيّة، الدّار البيضاء : المركز الثّقافيّ العربيّ وبيروت : دار التّنوير، ط 2 / 1985.

28– بومسهولي، عبد العزيز، الشّعر والتّأويل : قراءة في شعر أدونيس، الدّار البيضاء : نشر إفريقيا الشّرق، 1998.

29 – التّطاوي، عبد الله، في القصيدة الجاهليّة والأمويّة : درس تحليليّ، مكتبة غريب، د. ت.

30 – التّلاوي، محمد نجيب، القصيدة التّشكيليّة في الشّعر العربيّ، القاهرة : الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ط 1 / 1998.

31 – جابر، يوسف حامد، قضايا الإبداع في قصيدة النّثر، دمشق : دار الحصاد ط 1 / 1991.

32 – الجزّار، محمد فكري، العنوان وسميوطيقا الاتّصال الأدبيّ، القاهرة : الهيئة المصريّة العامّة للكتاب 1998.

33 – جعيط، هشام، الفتنة، جدليّة الدّين والسّياسة في الإسلام المبكّر، بيروت : دار الطّليعة، ط 1 / 1991.

34 – الحاج، أنسي، مقال : لَنْ، مجلّة شعر، السّنة الخامسة، عدد 15.

35 – مسيحيّة المنطق وعبث الإيمان، مجلّة شعر، السّنة الخامسة، عدد 20.

36 – حاجّي، خليفة، كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد : مكتبة المثنّى، د. ت.

37 – حسين، طه، البيان العربيّ من الجاحظ إلى عبد القاهر، مقدّمة نقد النّثر، القاهرة : لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، 1938.

38 – حديث الأربعاء، مصر : دار المعارف، د. ت. (2 ج)

39 – في الشّعر الجاهليّ، سوريا : دار النّهر، ط 3 / 1996.

40 – من تاريخ الأدب العربيّ، بيروت : دار العلم للملايين، 1980 – 1981 . (3ج)

41 – حسين، محمّد محمّد، أساليب الصّناعة في شعر الخمر والنّاقة بين الأعشى والجاهليّين، الإسكندريّة : منشأة المعارف، 1960 .

42 – حمّادي، أحمد عبد الرّحمان، عوامل التّطوّر اللّغوي : دراسة في نموّ وتطوّر الثروة العربيّة، بيروت : دار الأندلس، ط 1 / 1983 .

43- الخال، يوسف، الحداثة في الشّعر، بيروت : دار الطّليعة، 1978 .

44 – الخضر حسين، محمّد، الخيال في الشّعر العربيّ، القاهرة : المطبعة التّعاونيّة، ط 2 / 1972 .

45 – خليف، يوسف، دراسات في الشّعر الجاهليّ، مكتبة غريب، د . ت .

46 – خليل حلمي، المولّد في العربيّة : دراسة في نموّ اللّغة العربيّة وتطوّرها بعد الإسلام، بيروت : دار النّهضة العربيّة، ط 2 / 1985 .

47 – الخواجة، دريد يحيى، القصيدة لا الشّعر، حمص : دار المعارف، ط 1 / 1992 .

48 – خير بك، كمال، حركة الحداثة في الشّعر العربيّ المعاصر : دراسة حول الإطار الاجتماعيّ والثّقافيّ للاتّجاهات والبنى الأدبيّة، بيروت : دار الفكر، ط 2 / 1986 .

49 – الداية، فايز، علم الدّلالة العربيّ : النّظريّة والتّطبيق : دراسة تاريخيّة تأصيليّة نقديّة، بيروت : دار الفكر المعاصر ودمشق : دار الفكر، ط 2 / 1996 .

50 – درويش، محمود والقاسم، سميح، الرّسائل، الدّار البيضاء : دار توبقال للنّشر، 1990 .

51 – أبوديب، كمال، جدليّة الخفاء والتّجلّي، بيروت : دار العلم للملايين، د . ت .

52 – الرّؤى المقنّعة : نحو منهج بنيويّ في دراسة الشّعر الجاهليّ، القاهرة : الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1986 .

53 – في البنية الإيقاعيّة للشّعر العربيّ. نحو بديل جذريّ لعروض الخليل ومقدّمة في علم الإيقاع المقارن، بيروت : دار العلم للملايين، ط 1 / 1974 .

54 – في الشّعريّة، بيروت : مؤسّسة الأبحاث العربيّة، ط 1 / 1987 .

55 – الزّركلي، خير الدّين، الأعلام، قاموس وتراجم، بيروت : دار العلم للملايين، ط 6 / 1984 .

56– الزّعبي، أحمد، الشّاعر الغاضب «محمود درويش» دراسة في : دلالات اللّغة ورموزها وإحالاتها، إربد : (الأردن) دار الكندي، ط 1 / 1995 .

57 – زيّان، بهيّ الدّين، الشّعر الجاهليّ : تطوّره وخصائصه الفنّيّة، دار المعارف، مصر : د . ت .

58– زيدان، جرجي، تاريخ آداب اللّغة العربيّة، القاهرة : دار الهلال، 1957 . (4ج)

59 – الزّيدي، توفيق، جدليّة المصطلح والنّظريّة النّقديّة، تونس : دار قرطاج، ط 1 / 1998 .

60 – عمود الشّعر : في قراءة السّنّة الشّعريّة عند العرب، تونس – طرابلس : الدّار العربيّة للكتاب، ط 1 / 1993 .

61 – قضايا قراءة النّصّ الشّعريّ الحديث، مجلّة الموقف الأدبي، عدد 189 / 1987، دمشق، ص 17 .

62 – مفهوم الأدبيّة في التّراث النّقديّ، تونس : سراس للنّشر، 1985 .

63 – سعيد، خالدة، حركيّة الإبداع : دراسات في الأدب العربيّ الحديث، بيروت : دار الفكر، ط 3 / 1986 .

64 – سقّال، ديزيره، حركة الحداثة : آراؤها وإنجازاتها حتّى عام 1984، بيروت : دار الصّداقة العربيّة، 1997 .

65 – من الصّورة إلى الفضاء الشّعريّ : قراءات بنيويّة، بيروت : دار الفكر اللّبناني، ط 1 / 1993 .

66 – سلّوم، تامر، نظريّة اللّغة والجمال في النّقد العربيّ، سوريا : دار الحوار، ط 1 / 1983 .

67 – شاوول، بول، علاقة القصيدة العربيّة الحديثة بالفنون السّمعيّة والبصريّة، بحوث البابطين، دورة البارودي، القاهرة.

68 – الشّريف، محمّد صلاح الدّين، مفهوم الشّرط وجوابه وما يطرحه من قضايا في معالجة العلاقة بين الأبنية النّحويّة والدّلاليّة، شهادة دكتورا الدّولة، مرقونة بكلّيّة الآداب بمنّوبة، 1993 .

69 – شوقي، جلال، المربّعات السّحريّة في المخطوطات العربيّة، مجلّة مركز الوثائق والدّراسات الإنسانيّة، جامعة قطر، عدد 3 / 1991 .

70 – الشّرفي، عبد المجيد، الفكر الإسلامي في الرّدّ على النّصارى، تونس : الدّار التّونسيّة للنّشر والجزائر : المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، ط 1 / 1986 .

71 – الصّائغ، عبد الإله، الخطاب الإبداعيّ الجاهليّ والصّورة الفنّيّة، بيروت والدّار البيضاء : المركز الثّقافيّ العربيّ، ط 1 / 1997 .

72 – صمّود، حمّادي، التّفكير البلاغيّ عند العرب، أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس، تونس : منشورات الجامعة التّونسيّة، 1981 .

73 – في نظريّة الأدب عند العرب، جدّة : منشورات النّادي الأدبيّ الثّقافيّ، ط 1 / 1995 .

74 – من تجلّيات الخطاب البلاغيّ، تونس : دار قرطاج، ط 1 / 1999 .

75 – من تجلّيات الخطاب الأدبيّ، قضايا تطبيقيّة، تونس : دار قرطاج، ط 1 / 1999 .

76 – من تجلّيات الخطاب الأدبيّ : قضايا نظريّة، تونس : دار قرطاج، ط 1 / 1999 .

77 – صولة، عبد الله، الحجاج في القرآن من خلال أهمّ خصائصه الأسلوبيّة، دكتورا دولة، إشراف حمّادي صمّود، 1997 .

78 – مختارات شعريّة لأدونيس، تقديم عبد الله صولة، البناء على الهاوية أو البداية من أرض محروقة، تونس : دار الجنوب للنّشر، ط 1 / 1995 .

79 – ضيف، شوقي، البلاغة : تطوّر وتاريخ، القاهرة : دار المعارف، ط 6 / 1983 .

80 – الطّرابلسي، أمجد، نقد الشّعر عند العرب حتّى القرن الخامس للهجرة، ترجمة إدريس بلمليّح، الدّار البيضاء : دار توبقال للنّشر، ط 1 / 1993 .

81 – الطّرابلسي محمد الهادي، بحوث في النّصّ الأدبي، تونس وطرابلس : الدّار العربيّة للكتاب، 1988 .

82 – تحاليل أسلوبيّة، تونس : دار الجنوب، 1992 .

83 – خصائص الأسلوب في الشوقيّات، تونس : منشورات الجامعة 1981.

84 – الطّعمة، صالح جواد، الشّاعر العربيّ المعاصر ومفهومه النّظريّ للحداثة، مجلّة فصول، المجلّد الرّابع، العدد الرّابع، جويلية، أوت، سبتمبر، 1984.

85 – عاشور، منصف، ظاهرة الإسم في التّفكير النّحويّ : بحث في مقولة الإسميّة بين التّمام والنّقصان، تونس : منشورات كلّيّة الآداب بمنّوبة، 1999.

86 – عبّاس، إحسان، اتّجاهات الشّعر العربيّ المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 2، د.ت.

87 – عبّاس، إحسان، النّقد الأدبي عند العرب، بيروت : دار الثّقافة، ط 5 / 1986.

88 – عبد، محمد، إبداع الدّلالة في الشّعر الجاهليّ : مدخل لغويّ أسلوبيّ، القاهرة : دار المعارف، 1988.

89 – عبد البديع، لطفي، عبقريّة العربيّة في رؤية الإنسان والحيوان والسّماء والكواكب، بيروت : مكتبة لبنان ناشرون، ط 1 / 1997.

90 – عبد الجليل، محمد بدري، المجاز وأثره في الدّرس اللّغويّ، بيروت : دار النّهضة العربيّة، ط 1 / 1980.

91 – عبد الرّحمان، إبراهيم، الشّعر الجاهليّ : قضاياه الفنّيّة والموضوعيّة، مكتبة الشّباب، د.ت.

92 – عبد الرّحمان، عفيف، الأدب الجاهليّ في آثار الدّارسين قديما وحديثا، عمّان : دار الفكر، ط 1 / 1987.

93 – عبد المطّلب، محمّد، قراءات أسلوبيّة في الشّعر الحديث، مصر : الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1995.

94 – عزّام، محمّد، الحداثة الشّعريّة، دمشق : اتّحاد الكتّاب العرب، 1995.

95 – عصفور، جابر، الصّورة الفنّيّة في التّراث النّقديّ والبلاغيّ، بيروت والدّار البيضاء : المركز الثّقافيّ العربيّ، ط 3 / 1992.

96 – معنى الحداثة في الشّعر المعاصر، مجلّة فصول، المجلد الرّابع، العدد الرّابع، جويلية، أوت، سبتمبر، 1984.

97 – مفهوم الشّعر، دراسة في التّراث النّقديّ، بيروت : دار التّنوير، ط 3 / 1983.

98 – العلمي، محمّد، العروض والقافية : دراسة في التّأسيس والاستدراك، الدّار البيضاء : دار الثّقافة، 1983.

99 – العمري، محمّد، البلاغة العربيّة : أصولها وامتداداتها، بيروت والدّار البيضاء : إفريقيا الشّرق، ط 1 / 1999.

100 – الموازنات الصّوتيّة في الرّؤية البلاغيّة : نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربيّة، الدّار البيضاء : منشورات ودراسات : سال، ط 1 / 1991.

101 – عوض، ريتا، بنية القصيدة الجاهليّة : الصّورة الشّعريّة لدى امرؤ القيس، بيروت : دار الآداب، ط 1 / 1992.

102 – عيّاد، شكري، موسيقى الشّعر العربيّ، القاهرة : دار المعرفة، ط 1 / 1968.

103 – العيد، يمنى، في معرفة النّصّ : دراسات في النّقد الأدبيّ، بيروت : دار الآداب، ط 4 / 1999.

104 – غاليم، محمّد، التّوليد الدّلاليّ في البلاغة والمعجم، الدّار البيضاء : دار توبقال للنّشر، ط 1 / 1987.

105 – الغذامي، عبد الله، كيف نتذوّق قصيدة حديثة؟ مجلّة فصول، المجلّد الرّابع، العدد الرّابع، جويلية، أوت، سبتمبر، 1984.

106 – فاضل، جهاد، قضايا الشّعر الحديث، بيروت : دار الشّروق، 1984 .

107 – فخر الدّين، جودت، شكل القصيدة العربيّة في النّقد العربيّ حتّى القرن الثّامن الهجريّ، بيروت : دار الآداب، 1984 .

108 – فرانكلين، ر، روجرز، الشّعر والرّسم، ترجمة مي مظفّر، بغداد : دار المأمون، 1990 .

109 – فضل، صلاح، أساليب الشّعريّة المعاصرة، بيروت : دار الآداب، ط 1 / 1995 .

110 – الفهري، عبد القادر الفاسي، اللّسانيات واللّغة العربيّة : نماذج تركيبيّة ودلاليّة، الدار البيضاء : دار توبقال، ط 2 / 1988 .

111 – فيستر، جيرار، الشّعر خائنا للّغة الخائنة، مجلّة مواقف، عدد 51 – 52.

112 – الماكري، محمّد، الشّكل والخطاب : مدخل لتحليل ظاهراتي، بيروت والدّار البيضاء : المركز الثّقافيّ العربيّ، ط 1 / 1991 .

113 – المبخوت، شكري، المعنى المحال في الشّعر، ندوة، صناعة المعنى وتأويل النّصّ، منشورات كلّيّة الآداب بمنّوبة، 1992 .

114 – المحارب، عبد الله بن حمد، أبو تمّام بين ناقديه قديما وحديثا : دراسة نقديّة لمواقف الخصوم والأنصار، تونس : دار سحنون للنّشر، ط 1 / 1992 .

115 – المسدّي، عبد السّلام، التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، تونس : الدار العربيّة للكتاب، 1981 .

116 – ماوراء اللّغة : بحث في الخلفيّات المعرفيّة، تونس : مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، 1994 .

117 – المصري، يسريّة يحيى، بنية القصيدة في شعر أبي تمّام، نشر الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1997 .

118 – المطعني، عبد العظيم، المجاز في اللّغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع : عرض وتحليل ونقد، القاهرة : مكتبة وهبة، ط 1 / 1985 . (ج2)

119 – معلوف، سمير أحمد، حيويّة اللّغة بين الحقيقة والمجاز، دمشق : منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 1996 .

120 – مفتاح، محمّد، تحليل الخطاب الشّعريّ : استراتيجيّة التّناصّ، الدار البيضاء وبيروت : المركز الثّقافي العربيّ، ط 1 / 1985 .

121 – ديناميّة النّصّ : تنظير وإنجاز، بيروت والدّار البيضاء : المركز الثّقافيّ العربيّ، ط 2 / 1990 .

122 – المقالح، عبد العزيز، أزمة القصيدة العربيّة، بيروت : دار الآداب، 1985 .

123 – الملائكة، نازك، قضايا الشّعر المعاصر، بيروت : دار العلم للملايين، ط 8 / 1992 .

124 – مندور، محمّد، قضايا جديدة في أدبنا الحديث، بيروت : دار الآداب، 1958 .

125 – ميشونيك، هنري، اللّغة والتّاريخ : نظريّة واحدة، تعريب صفاء الرّاغب، مجلة مواقف، عدد 39.

126 – ناصف مصطفى، الصّورة الأدبيّة، بيروت : دار الأندلس، د.ت.

127 – نظريّة المعنى في النّقد العربيّ، بيروت : دار الأندلس، 1981 .

128 – ناظم، حسن، مفاهيم الشّعريّة : دراسة مقارنة في الأصول والمناهج والمفاهيم، بيروت : المركز الثّقافيّ العربيّ، ط 1 / 1994.

129 – نبوي، عبد العزيز، دراسات في الأدب الجاهليّ،القاهرة : الصّدر لخدمات الطّباعة، ط 2 / 1988.

130 – نعيمة، ميخائيل، الغربال، بيروت : دار صادر، ط 7 / 1964.

131 – هدارة، محمّد مصطفى، اتّجاهات الشّعر العربيّ في القرن الثّاني الهجريّ، الاسكندريّة : دار المعرفة الجامعيّة، 1981.

132 – الواد، حسين، تدور على غير أسمائها، تونس : دار الجنوب للنّشر، ط 1 / 1993.

133 – وافي، عثمان، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النّقد العربيّ القديم، الاسكندريّة : مؤسّسة الثّقافة الجامعيّة، د.ت.

134 – والتر، أونج، ج، الشّفاهيّة والكتابيّة، ترجمة حسن البنّا عزالدّين، مراجعة محمّد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، عدد 182، فيفري 1994.

135 – الورقي، سعيد، لغة الشّعر العربيّ الحديث، بيروت – لبنان : دار النّهضة العربيّة، 1984.

136 – الولي، محمّد، الصّورة الشّعريّة في الخطاب البلاغيّ والنّقديّ، الدّار البيضاء وبيروت : المركز الثّقافيّ العربيّ، ط 1 / 1990.

137 – الوهايبي، منصف، الجسد المرئيّ والجسد المتخيّل، شهادة تعمّق في البحث، كلّيّة الآداب بمنّوبة، إشراف توفيق بكّار، 1987.

138 – ويليامز، رايموند، طرائق الحداثة، ترجمة فاروق عبد القادر، الكويت : سلسلة عالم المعرفة، عدد 246.

139 – يحياوي رشيد، الشّعر العربيّ الحديث، دراسة في المنجز النّصّيّ، الدّار البيضاء : إفريقيا الشّرق، ط 1 / 1998.

مراجع بالألسنة الأجنبية :

1 - Aristote, *La poétique, Texte, traduction, notes* par Roselyne Dupont-Roc et Jean Lottot, Seuil, 1980.

2 - AUSTIN, J.L,*How to do things with words*? London : Oxford, U.P. 1962.

3 - BACHELARD, Gaston, *La poétique de l'espace*, P.U.F., Paris, 1957.

4 - BARTHES, Roland, Eléments de sémiologie, in communication, n° 4.

5 - *Fragment d'un discours amoureux*, coll, Tel quel, Paris, Seuil, 1977.

6 - *Le degré zéro de l'écriture suivi de nouveaux essais critiques*, Paris, Seuil 1972.

7 - *Le plaisir du texte*, Paris, Seuil, 1973.

8 - *Système de la mode*, Paris, Seuil, 1967.

9 - BENEVENISTE, Emile, *Problèmes de linguistique générale*, Gallimard, Paris, 1986.

10 - BERNARD, Suzanne, *Poème en prose de Beaudelaire jusqu'à nos jours*, Librairie Nizet, Paris, 1988.

11 - BRAUNLICH, *Literargeschichtliche Betrachtungsweise altrarabischen poesien*, dans der islam, n°24, 1937. pp. 248-249.

12 - BRILLAT - SAVARIN, Anthelme, *Physiologie du goût*, avec une lecture de Roland BARTHES, Hermann, Ed, des sciences et des arts, Paris, 1975.

13 - BROWNE Robert M. *Typologie des signes littéraires*, 7, sept. 1971, pp. 334-354.

14 - BURGOS, Jean, *Pour une poétique de l'imaginaire*, Seuil, Paris, 1982.

15 - CARE, Norman, S. and Landesman, CHARLES, *Readings in the Theory of action*. Bloomington : Indiana, UP 1968 .

16 - CHARLES, Michel, *Le discours des figures*, 15, sept, 1973, 340-364.

17 - COHEN, Jean.; *Le haut langage* : Théorie de la poéticité, Paris, Flammarion, 1979.

18 - *Structure du langage poétique*, coll. Nouvelle bibliothèque scientifique, Flammarion, Paris, 1966.

19 - Communication, *Recherches sémiotiques*. Paris : Seuil, 1964.

20 - CORNULIER, Benoîtde, *Théorie du vers*, Coll, travaux linguistique, Seuil, Paris, 1982.

21 - DEGUY, Michel, *Notes sur le rythme ou comment faire un impar*? in Langage Française, n° 56, 1982, p. 15.

22 - DELEUZE, Gilles, *Logique du sens*, les Editions de Minuit, 1969.

23 - DERRIDA, J, *De la grammatologie*, Paris, Minuit, 1969.

24 - *L'écriture et la différence*, Paris, Seuil 1967.

25 - *La dissémination*, Paris, Seuil, 1972.

26 - DRESSLER, Wolf Gangu, (1972) *Eingührung in die testlinguistik*. Tübingen : Niemeyer.

27 - DUBOIT, Jacques et autres, *Rhétorique de la poésie*, Editions complexe, bruxelles, 1977.

28 - DUCROT, O, *Analyse pragmatique*, in communication, n° 32, 1980.

29 - *Dire et ne pas dire*, Paris, Hermann, 1971.

30 - *Les lois de discours*, in langue française, n° 42, Mai 1979, pp. 21-34.

31 - DUFRENNE, M, *Phénoménologie de l'expérience ésthétique*, Paris, P.U.F.; 1953.

32 - DURAND, Gilbert, *L'imagination symbolique*, 3[ed], Paris, Cérès, 1996.

33 - ECO, Umberto. *La structure absente: Introduction à la recherche sêmiotique*, trad, Uccio esposito-Torrigiani, Paris, Mercure de France, 1972.

34 - *Les limites de l'Interprétation* : (I Limiti dell'interpretazione) Trad Myriem BOUZAHER, paris, Grasset, 1992.

35 - *Sémiotique et philosophie du langage*, Paris, P.U.F. 1988.

36 - FILLIOLET, Jacques; *Problématique du vers libre*, in langue française, n° 23, p. 63.

37 - FOUCAULT, Michel, *Les mots et les choses : une archéologie des sciences humaines*, Paris, Gallimard, 1986.

38 - GALMICHE, M, *sémantique générative*, Paris, Larousse, 1975

39 - GENETTE, G, Figures II, Paris, Seuil, 1968.

40 - *Palimpsestes* : La littérature au second degré, Seuil, 1992.

41 - Seuils, Ed. du Seuil, Paris, 1987.

42 - GREIMAS, A. J.; et Courtès, J, *dictionnaire raisonné de la théorie du langage*, Hachette Université, Hachette, Paris,1979

43 - *Sémantique structurale*, Paris, Larousse, 1966.

44 - GROUPE MU, *Rhétorique de la poésie*, éditions complexes, Bruxelles, 1977.

45 - *Rhétorique générale*, Paris, Larousse, 1970.

46 - GUENTHNER, Franz : *On the semantics of Metaphor*, Poetics, 14/15, pp 199-220, 1975.

47 - HABERMAS, Jürgen, *Le discours philosophique de la modernité*, traduit de l'Allemand par Christian BOUCHINDHOMME et Rainer ROCHLITZ, Bibliothèque de philosophie, N.R.F. Gallimard, Paris, 1988.

48 - HAY, Luis, *Le texte n'existe pas*, in Revue Poétique, n° 62, Avril, 1985, pp. 147-158.

94 - HEGEL, *La poésie*, Esthétique 8, Subier-Montaigne éditeur, Paris, 1965.

50 - HEIDEGER, Martin, *Approche de Hölderlin*, Coll. Classiques de la philosophie, N.R.F., Gallimard, Paris, 1968.

51- HERMAN, Parret, *La mise en discours en tant que deictisation et modalisation*, in Langage n° 70, Juin, 1983.

52 - JAKOBSON, Roman, *Essais de linguistique générale*, Coll. Point, Paris, 1970.

53 - *Huit questions de poétique*. Coll. Points, Seuil, Paris, 1977.

- *Six Leçons sur le son et le sens*, coll, Arguments, éd. Minuit, Paris, 1976.

54 - JAUSS, H.R, *Pour une ésthétique de la réception*, Gallimard, Paris, 1978.

55 - KERBRAT-ORECCHIONI, Catherine, *La Connotation*, P.U.L. 1977.

56 - *L'énonciation de la subjectivité dans la langue*, Armand Colin, 1980.

57 - KIBIDI, Varga, *Rhétorique et Littérature : Etudes de structures classiques*, Didier, Paris, 1970.

58 - KILITO, A, *Sur la métalangage métaphorique des poéticiens arabes*, poétique n° 38, Avril, 1979.

59 - KRESTIVA, Julia, *La révolution du langage poétique*, l'avant garde à la fin du XIX siècle : L'autréaumort et Mallarmé, Paris, éd. du Seuil, 1974.

60 - *Le langage cet inconnu : Une initiation à la linguistique*, Paris, éd du Seuil, 1981.

61 - *Séméiötiké : Recherches pour une sémanalyse*, coll, Tel quel, Seuil, Paris, 1969.

62 - LACOFF, G, and Johnson, M, *Metaphors we live by*, Univ of Chicago Press, 1980.

63 - LE GUERN, Michel, *Sémantique de la métaphore et de la métonymie*, Larousse, 1973.

64 - LEWIS, C. Day. *The poetic image*, Jonathan cape, London, 1966.

65 - LOTMAN, Y, *La structure du texte artistique*, Bibliothèque des sciences humaines, N.R.F., Gallimard, Paris, 1982.

66 - MALLARME, *Crise de vers*, in œuvres complètes, Bibliothèque de la Pléiade, 1945.

- *œuvres complètes*, Bibliothèque de la pleiade, N.R.F. Gallimard, Paris, 1979.

67 - MARTIN, G.O.; *Language, truth and poetry*, Univ, Press., Edinburgh, 1975.

68 - MARTIN, Robert, *Pour une logique du sens*, P.U.F., Paris, 1983.

69- MESCHONNIC, Henri, *Critique du rythme, anthro-pologie historique du langage*, éd, Verdier, 1982.

70 - *Les états de la poétique*, P.U.F., Coll, écriture, Paris, 1985.

71 - *Le signe et le poème*, Coll. Le chemin, N.R.F. Gallimard, Paris, 1975.

72 - *Modernité / Modernité*, Editions Verdier, Paris, 1988.

73 - *Pour la poétique I*, Coll. Le chemin, N.R.F., 1970, Gallimard, Paris.

74 - *Pour la poétique III*, Coll. Le chemin, N.R.F., 1973, Gallimard, Paris.

75 - *Qu'entendez-vous par oralité*, in Langue Française, n° 56, 1982.

76 - MERLEAU, PONTY, M., *Phénoménologie de la perception*, Paris, Gallimard, 1945.

77 - MILNER, J.C., *De la syntaxe à l'interprétation*, Paris, Seuil, 1978.

78 - MOLINO, Jean, TAMINE, Joelle, *Introduction à l'analyse de la la poésie, II, de la strophe à la construction du poème*, P.U.F. Paris, 1988.

79 - MOLINO, J., SOUBLIN, F, et TAMINE, J., *La métaphore*, in langage, juin, 1979.

80 - NIETZSCHE, *Par delà bien et mal*, folio, Essais, 1974.

81 - PELLETIER, A.M., *Fonctions Poétiques*, paris, Klincksieck, 1977.

82 - POLDMAE, Jaak, *Typologie du vers libre*, in linguistique et poétique, éd, du progrès, Moscou, 1981.

83 - RASTIER, François, *Systématique des isotopies*, in éssais de sémiotique poétique, Larousse, Paris, 1972.

84 - RECANATI, F, *La transparence et l'énonciation*, Seuil, Paris, 1979.

85 - REY Alain, *Théorie du signe et du sens : initiation à la linguistique*, Paris éd Klinck Sieck.

86- REY, Jean-Michel, *L'enjeu de signe : lecture de Nietzsche*, Paris, Seuil 1971.

87 - RICHARDS I.A, *The philosophy of Rhetorique*, Oxford University Press, New York, 1967.

88 - RICHARD, J.-P., *Poésie et profondeur*, Paris, Seuil, 1955.

89 - RICŒUR, Paul, *Le conflit des interprétations* : Essais d'hermeneutique, Seuil, Paris, 1969.

90 - *La métaphore vive*, Paris, Seuil, 1997.

91 - RIFFATERRE, Michael, *La production du texte*, Seuil, Paris, 1979.

- Sémiotique de la poésie. Coll. poétique, Seuil, Paris, 1983.

92 - RIMBAUD, *une saison en enfer*, in œuvres complètes, pp. 116-117.

93 - SAUSSURE, Ferdinaud de, *Cours de linguistique générale*, payothèque, Payot, Paris, 1972.

94 - SCHMIDT, Siegfried, J, *Linguistche pragmatik*, Frankfurt : Athnaeum, 1972.

95 - *Text theories*, Munich : Fink (UTB) Wunderlich, Dieter.

96 - SHIFFER, Stephen R. *Meaning*. London : Oxford UP., 1972.

97 - SEARLE, JOHN, R, *Sens et expression : Etudes des théories des actes du langage*, Minuit, Paris, 1982.

98 - *Speech Acts*. London : Cambridge, UP., 1969.

90 - SHAEFFER, Jean-Marie, *Romantisme et langage poétique*, in Revue Poétique, n° 42, Avril, 1980, p. 17.

100- STAROBINSKI, *Les mots sous les mots*, Paris, Gallimard, 1971.

101 - TBALLMER, TH, *The roots of archetypes*, Symbols, metaphors, models theories, in poetics. V 11, n° 4-5, Dec, 1982.

102 - TRABULSI, Amjad, *La critique poétique des arabes*, Institut français de Damas, 1955.

103 - THOMAS. O. *Metaphor and Related Subjects*, Random House, New York, 1969.

104 - TODOROV, TZ, *Symbolisme et interprétation*, Seuil, Paris, 1978.

105- *Théorie de la littérature : textes des formalistes Russes*, préface de Roman JAKOBSON, Seuil, Paris, 1965.

106 - *Théorie du symbole*, Seuil, Paris 1977.

107 - TRANNOY, A.I., *La musique des vers*, Delagrave, 1929.

108 - TYNIANOV, Louri, *Problema stixotvornovo Jazyka*, (Le problème du langage versifié) Leningrad, 1924; La Haye, Mouton, 1963; traduit sous le titre : Le vers lui-même, Problème de la langue du vers, 10-18, 1977.

109 - Gianni, *La fin de la modernité*, traduit de l''Italien par Charles Alunni, Seuil, Paris, 1987.

110 - VADET, J.C.; *Contribution à l'histoire de la métrique arabe*, dans ARABICA, 1955, p. 315.

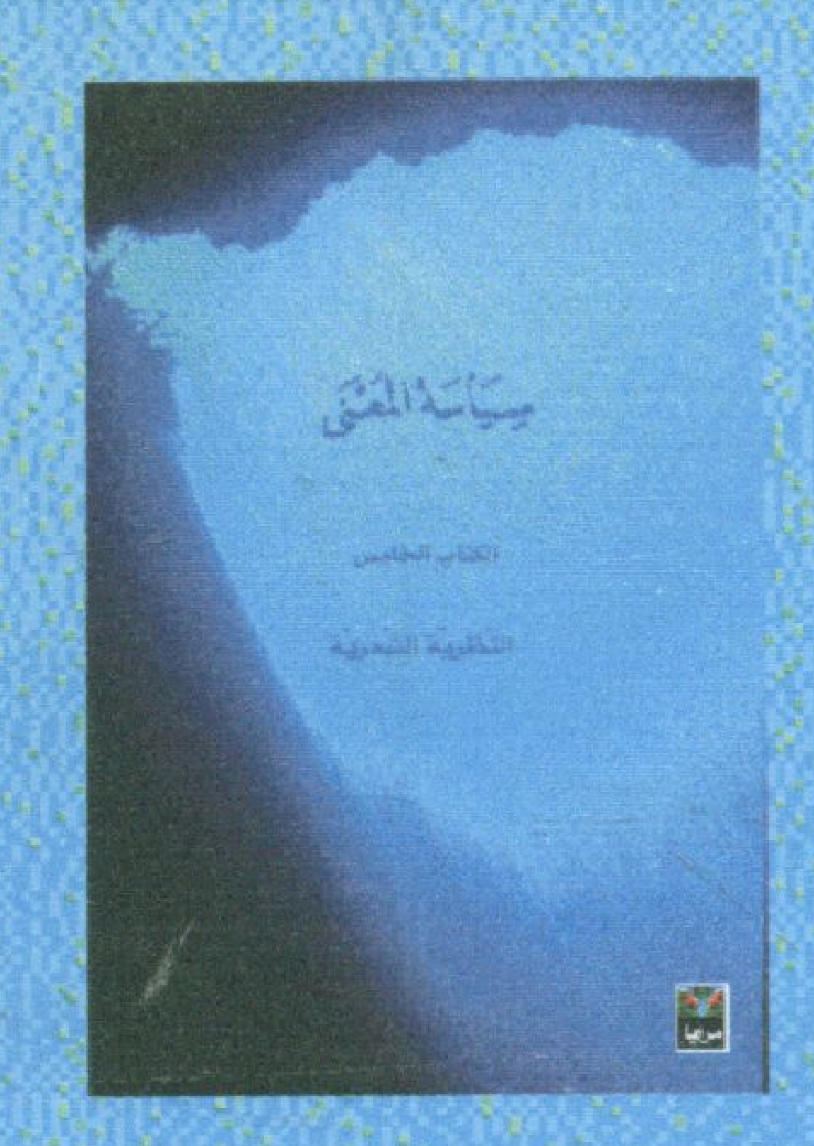
111 - VANDIJK, Teuna, *Beiträge Zur generativen Poetik*. Munich : Bayerisher Schulbuch Verlag, 1972.

112 - *Issue in the pragmatics of Discourse*, University of Amesterdam, mimeo, 1975.

113 - *Formal Semantics of metaphorical Discourse* in Teuna. VAN DIJK and Janos, s, PETR...FI, eds theory of Metaphor, special issue, Poetics, 1975 n°14/15, pp. 98-173.

114 - *Moderne Literatuur teorie*, Amsterdam, 1971.

115 - VON GRUNE, baum, *I'djaz*, E.I$_2$; p. 1044.

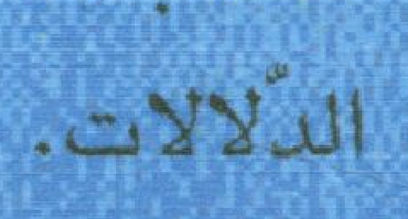


النّظريّة الشّعريّة

إنّ القراءة تشكّل فضاء للاختلاف وتُتيح إنتاج قدر كبير من التّأويلات. وتُحدث فضاء خلاّقا للفهم والتّأويل. فالنّصوص وقائع خطابيّة علينا اكتشاف آليّات إنتاجها للمعنى.

ونحن، ههنا، نريد إلقاء سؤال علاقة الكلمات بالأشياء في الثّقافة العربيّة واختبار تشكّلات الكيان باللّغة وبالبلاغة في الشّعر باعتبار الشّعر أخطر حدث رمزيّ يُنجزه الكيان لا من حيث هو تشابيه واستعارات وكنايات.

ولم تبق من مُنجز النّصّ غير آثار مرتسمة على ما أنجز. لو كان هو المُنجز حقّا. لكن ربّما أمكن للّغة، لأوّل مرة في تاريخ الإنسان أن تضرب بحفريّاتها في أرض الكيان وتصنع له نظام خطاب. فقد أحدث النّظام الرّمزيّ الحداثيّ رجّة في الدّلالات.







مؤسّسة مرايا الحداثة للإنتاج الفكري
Les Editions MIRORS